

الفرح

عناصر الموضوع

٢٠٤	مفهوم الفرح
٢٠٥	الفرح في الاستعمال القرآني
٢٠٦	الألفاظ ذات الصلة
٢٠٨	حقيقة الفرح
٢١٣	أنواع الفرح
٢٢٧	دوافع الفرح
٢٣٥	أساليب القرآن في الحديث عن الفرح
٢٤٢	ضوابط الفرح
٢٤٨	الفرح بين القرآن وعلم النفس

مفهوم الفرح

أولاً: المعنى اللغوي

الفرح: مصدر قولهم: فرح يفرح، هو خلاف الحزن يقال: فرح بكذا فهو فرح، ويطلق الفرح أيضاً: على البطر، ويقال: رجل فَرِحَ وفَرَحَان وامرأة فَرِحَة وفَرَحَى^(١). والمفراح: الذي يفرح كلما سره الدهر. وهو الكثير الفرح، وقد أفرحه وفرحه. والفَرَحَة: المسرة، والفرحة أيضاً: ما تعطيه المفرح لك أو تشبهه به مكافأة له. وفي حديث التوبة: (لله أشد فَرَحًا بتوبة عبده)^(٢)، وصفة الفرح ثابتة لله عز وجل كما يليق بجلاله وكماله^(٣).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

قال الراغب الأصفهاني: الفرح انشراح الصدر بلذة عاجلة، وأكثر ما يكون في اللذات البدنية والدنيوية^(٤).

وقال المناوي: «الفرح: انفتاح القلب بما يلتذ به»^(٥).

وقال الكفوي: «الفرح ما يورث أشرا أو بطرا، ولذلك كثيرا ما يذم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]. ويتولد هذا عن القوة الشهوية. وقيل: شرح الصدر بلذة عاجلة، وقيل: لذة القلب لنيل المشتى»^(٦).

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١/ ٢٤١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في الحظ على التوبة والفرح بها، ٤/ ٢١٠٣، رقم ٢٧٤٤.

(٣) انظر: تهذيب اللغة ٥/ ٢٠، الصحاح، الجوهري ١/ ٣٩٠، مقاييس اللغة، ابن فارس ٤/ ٤٩٩، لسان العرب، ابن منظور ٢/ ٥٤١.

(٤) المفردات، ص ٣٧٥، الذريعة في مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني ص ٣٣٩.

(٥) التوقيف على مهمات التعريف ص ٢٥٨.

(٦) الكليات، الكفوي ص ٥٠٨.

الفرح في الاستعمال القرآني

ورد الجذر (فرح) في القرآن الكريم (٢٢) مرة ^(١).
والصيغة التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	٧	﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١]
الفعل المضارع	٩	﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ٤]
صفة مشبهة	٦	﴿إِنَّهُمْ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠]. ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]

وجاء الفرح في القرآن على ثلاثة أوجه ^(٢):

الأول: البطر: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠]. يعني: بطر فخور.

الثاني: الرضا: ومنه قوله تعالى: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الرعد: ٢٦]. يعني: رضوا بها.

الثالث: السرور: ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾ [يونس: ٢٢]. يعني: سرروا بها.

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٥١٤.

(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، ص ٣٥٩-٣٦٠.

الألفاظ ذات الصلة

١ السرور:

السرور لغة:

يقال: سررت برؤية فلانٍ وسرني لقاءه، وقد سررتَه أسره أي فرحته، السرور خلاف الحزن؛ تقول: سرني فلانٌ مسرّةً، والسرور: ما ينكتُم من الفرح ^(١).

السرور اصطلاحًا:

«حالة نفسانية تعرض عند حصول اعتقاد وعلم أو ظن لحصول شيء لذيق» ^(٢).
وقيل: هو انشراح الصدر بلذة فيها طمأنينة الصدر عاجلاً وآجلاً ^(٣).

الصلة بين الفرح والسرور:

هناك تقارب في المعنى بين الفرح والسرور إلى حد كبير، بحيث يصعب التفريق بينهما وفرق أبو هلال العسكري بينهما فقال: «الفرق بين السرور والفرح؛ أن السرور لا يكون إلا بما فيه نفع أو لذة على الحقيقة، وقد يكون الفرح بما ليس بنفع أو لذة: كفرح الصبي بالرقص والعدو والسباحة وغير ذلك مما يتعبه ويؤذيه، ولا يسمى ذلك سروراً» ^(٤).

٢ الحبور:

الحبور لغة:

هو السرور. الحبرة: النعمة التامة ^(٥).

والحبور من الحبرة وهو الفرح، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْحَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] ^(٦).

الحبور اصطلاحًا:

المبالغة فيما وصف بجميل ^(٧).

- (١) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٣٦١/٤.
- (٢) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ص ١٩٣.
- (٣) انظر: المفردات، الأصفهاني ص ٦٢٨.
- (٤) انظر: الفروق اللغوية ص ٢١٩.
- (٥) الصحاح، الجوهري ١٨٣/٢، تاج العروس، مرتضى، الزبيدي ٥٠٦/١٠.
- (٦) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ١٢٧/٢.
- (٧) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده ٣١٦/٣.

الصلة بين الجبور والفرح:

قيل: الفرح: انبساط القلب لنيل محبوب أو توقعه، والجبور: السرور الذي يظهر في الوجه أثره، فهو أشد من الفرح، ولذا خاطب الله تعالى أهل الجنة بقوله ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠].^(١)

٣ البشري:

البشري لغة:

هي الخبر السار وكذلك البشارة، يقال: بشرته فأبشر واستبشر وتبشر وبشر فرح^(٢).

البشري اصطلاحًا:

اسم لخبر يغير بشرة الوجه مطلقا سارا كان أو محزنا إلا أنه غلب استعماله في الأول وصار اللفظ حقيقة له بحكم العرف حتى لا يفهم منه غيره^(٣).

الاستبشار في الاصطلاح:

البشارة: هي الخبر الصدق السار الذي ليس عند المخبر به علمه^(٤) ووجود المبشر به وقت البشارة ليس بلازم بدليل قوله تعالى ﴿وَسَرَّزْنَاهُ بِمِسْحَقٍ﴾ [الصافات: ١١٢].

الصلة بين البشري والفرح

البشارة إذا كانت في الخير، فإنه تورث الفرح والسرور.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ١/ ١٩٧.

(٢) انظر: المحكم والمحيط، ابن سيده ٨/ ٥٩، المصباح المنير، الفيومي ص ٣١

(٣) انظر: الكليات، الكفوي ص ٢٣٩

(٤) انظر: المصدر السابق.

حقيقة الفرح

أولاً: صفة الفرح في حق الله تعالى:

من الصفات الثابتة لله تعالى صفة الفرح فهي صفة فعلية خبرية ثابتة بالأحاديث الصحيحة، أثبتها النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الصفة من صفات الله تعالى لها معنى وأثر.

جاء في صحيح مسلم عن الحارث بن سويد، قال: دخلت على عبد الله أعوده وهو مريض، فحدثنا بحديثين: حديثاً عن نفسه، وحديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده) (١).

فصفة الفرح من الصفات الفعلية الخيرية التي انفردت بها السنة دون الكتاب، وهي

ثابتة بالسنة الصحيحة التي تلقاها أهل السنة بالقبول، وعقد إجماعهم استناداً إليها على إثباتها، وهذه الصفة تدل بالتضمن على لطف الله بعباده ورحمته لهم، حيث يوفق من يشاء من عباده ليتوبوا فإذا تابوا تقبل توبتهم وفرح بها فرحاً شديداً ولطيفاً في وقت واحد، إذ يرد إليه عباده الشاردين من طاعته لئلا يضيعوا، وهو الذي لا تضره معصيتهم ولا تنفعه طاعتهم (٢).

ففي هذا الحديث إثبات لصفة الفرح لله تعالى، وشبه النبي صلى الله عليه وسلم فرح الله تعالى بتوبة عبده بفرح الذي ضلت راحلته وعليها طعامه وشرابه في أرض صحراء مهلكة، لا ماء فيها ولا طعام، فأيس منها، فنام وأيقن بالموت والهلاك، فاستيقظ فوجدها قائمة عند رأسه، فالله أشد فرحاً من هذا براحلته.

قال ابن القيم: «والفرح صفة كمال، ولهذا يوصف الرب تعالى بأعلى أنواعه وأكملها، كفرحه بتوبة التائب أعظم من فرحة الواجد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة» (٣).

قال الهراس: عند شرحه لهذا الحديث «وفي هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله عز وجل، والكلام فيه كالكلام في غيره

(٢) انظر: الصفات الإلهية في الكتاب، محمد أمان بن علي جامي علي ص ٢٩٧.

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم ١٥٨/٣.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في الحوض على التوبة والفرح بها، ٤/٢١٠٣، رقم ٢٧٤٤.

الجلال والإكرام والقهر واللفظ»^(٣). فمن صفات الله تعالى الفرح والغضب والسخط. وغيرها، واحتجاج أصحاب الفرق الضالة، بأن هذا انفعال وتأثير من العبد، والمخلوق لا يؤثر في الخالق، فلو أغضبه أو فعل ما يفرح به لكان المحدث قد أثر في القديم.

فالله تعالى خالق كل شيء، وربّه ومليكه، فهو سبحانه خالق الأسباب التي ترضيه وتغضبه، وتسخطه وتفرحه، فهو سبحانه خالق ذلك كله، والمخلوق أعجز من أن يؤثر فيه^(٤).

فالسلف الصالح لا يؤولون ولا يلحقون صفة بأخرى، وإنما يثبتونها لله تعالى كما هي، وما أثبتها الله تعالى لنفسه، وكما أثبتها له رسوله.

قال البغوي «فهذه ونظائرها صفات لله تعالى ورد بها السمع، يجب الإيمان بها وإمرارها على ظاهرها، معرضاً فيها عن التأويل، مجتنباً عن التشبيه، معتقداً أن الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذوات، قال الله سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٥) وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١].

فالفرقة الناجية، من أهل السنة والجماعة،

من الصفات، أنه صفة حقيقية لله عز وجل على ما يليق به، وهو من صفات الفعل التابعة لمشيئته تعالى وقدرته، فيحدث له هذا المعنى المعبر عنه بالفرح عندما يحدث عبده المثوبة والإنابة إليه، وهو مستلزم لرضاه عن عبده الثائب، وقبوله توبته.

وإذا كان الفرح في المخلوق على أنواع، فقد يكون فرح خفة، وسرور، وطرب، وقد يكون فرح أشير وبطر، فالله عز وجل منزّه عن ذلك كله، ففرحه لا يشبه فرح أحد من خلقه، لا في ذاته، ولا في أسبابه، ولا في غاياته، فسببه كمال رحمته وإحسانه التي يحب من عباده أن يتعرضوا لها، وغايته إتمام نعمته على الثائمين المنيبين^(١).

وأما تفسير الفرح بلازمه، وهو الرضا، وتفسير الرضا بإرادة الثواب، فكل ذلك نفى وتعطيل لفرحه ورضاه سبحانه أوجب سوء ظن هؤلاء المعطلة بربهم، حيث توهموا أن هذه المعاني تكون فيه كما هي في المخلوق، تعالى الله عن تشبيههم وتعطيلهم^(٢).

قال المناوي: «في الحديث إظهار صفة الكرم والحلم والغفران، ولو لم يوجد لانتلم طرف من صفات الألوهية، والإنسان إنما هو خليفة الله في أرضه، يتجلى له بصفات

(١) شرح العقيدة الواسطية ص ١٦٦

(٢) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث، الصابوني ص ٥.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٥/ ٣٠٥.

(٤) انظر: الصواعق المرسلة ٤/ ١٤٦٣

(٥) معالم التنزيل، البغوي ١/ ١٨.

كان منطلقاً، فيجوز إطلاق ذلك كما جاز إطلاق الفرح^(٤).

وقال المباركفوري: «إن هذا الفرح له شأن لا ينبغي للعبد إهماله والإعراض عنه، ولا يطلع عليه إلا من له معرفة خاصة بالله وأسمائه وصفاته وما يليق بعز جلاله»^(٥).

وقد فهم معنى أمثال هذه الصفات، الرجل الأعرابي الذي قال حينما سمع أن الله تبارك ينظر إليكم الرب قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب^(٦).

فقال له أبو رزين العقيلي يا رسول الله أو يضحك الرب؟ (قال: نعم قال: لن نعدم من رب يضحك خيراً)^(٧).

فجعل الأعرابي العاقل - بصحة فطرته - ضحكه دليلاً على إحسانه وإنعامه؛ فدل على أن هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود وأنه من صفات الكمال والشخص العبوس الذي لا يضحك قط هو مذمومٌ بذلك وقد قيل في اليوم الشديد العذاب: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ

يؤمنون به من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل، وهؤلاء هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة المرحومة هي الوسط في الأمم، فهم وسط الأمة في باب الصفات بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة»^(١).

ومن الصفات القريبة لصفة الفرح، البش فعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (ما توطن رجلٌ مسلمٌ المساجد للصلاة والذكر، إلا تبشش الله له، كما يتبشش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم)^(٢).

فقال ابن حبان «العرب إذا أرادت وصف شيئين متباينين على سبيل التشبيه أطلقتها معا بلفظ أحدهما، وإن كان معناه في الحقيقة غير سيين. فتبشش الله جل وعلا لعبده الموطن المكان في المسجد للصلاة والخير؛ إنما هو نظره إليه بالرافة الرحمة والمحبة لذلك الفعل منه»^(٣).

والبشيشة؛ معناها يقارب معنى الفرح، والعرب تقول: رأيت لفلان بشاشة وهشاشة وفرحاً، ويقولون: فلان هش بش فرح، إذا

(٤) انظر: صفات الله عز وجل، علوي السقاف ص ٨٦.

(٥) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن المباركفوري ٦/٨.

(٦) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله بن محمد الغنيمان ٢/٩٠.

(٧) أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله، باب فيما أنكرت الجهمية ١/١٨٣ رقم ١٧٩.

وحسنه ابن تيمية، كما في مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/١٣٩.

(١) شرح العقيدة الواسطية، هراس ص ١٨٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب المساجد والجماعات، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، ٢/٩٩، رقم ٨٠٠.

وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ٢/٩٨١، رقم ٥٦٠٤.

(٣) صحيح ابن حبان ٤/٤٨٥.

والإنسان بصفة عامة غير متزن تجاه انفعالاته، وما يعرض له، ويتأثر به، وهذا ما أكدته القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝﴾ [المعارج: ١٩-٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ۝﴾ [الروم: ٣٦].

لقد عزى الله تعالى المؤمنين رحمة بهم في مصائبهم وزهدهم في رغائبهم بأن أسفهم على فوت المطلوب لا يعيده، وفرحهم بحصول المحبوب لا يفيده، وبأن ذلك لا مطمع في بقاءه إلا بإدخاره عند الله تعالى وذلك بأن يقول: المصيبة قدر الله تعالى وما شاء فعل ويصبر؛ وفي النعمة هكذا قضى وما أدري مآله هذا من فضل ربي ليلوني أشكر أم أكفر فلا يزال خائفًا عند النعمة قائلًا في الحالين ما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن، وأكمل من هذا أن يكون مسرورًا بذكر ربه في كلتا الحالتين، وقيمة الرجال إنما تعرف بالواردات المغيرة فمن لم يتغير بالمضار ولم يتأثر بالمسار فهو سيد وقته.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «ليس من أحد إلا وهو يحزن ويفرح ولكن المؤمن يجعل مصيبته صبرًا وغنيمته شكرًا والحزن

رَبَّكَ يَوْمَ تَوَاعَا عِيُونَكَ فَتُطَوَّرُ ۝﴾ [الإنسان: ١٠] (١).

والمسلم حين يعلم أن من صفات الله تعالى الفرح والبش، والضحك فعليه أن يزداد إيمانًا بربه، ويزداد حبا وتقربا إليه، ويكون لسان حاله يقول كما قال الأعرابي «لن نعدم من رب يضحك خيرًا».

ثانيًا: الفرح طبيعة إنسانية.

الفرح هو واحد من تلك العواطف والمشاعر القلبية، ولازم من لوازم الطبيعة الإنسانية فقد اعتنى القرآن ببيان أحواله، واعتنى بتوجيهه وضبط مساره، بل إن القرآن قد ارتقى به إلى مصاف الأعمال القلبية المطلوبة من أهل الإيمان.

فقد وجه القرآن الكريم المشاعر القلبية توجيهًا صحيحًا، ونظمها على أساس من التوازن والفاعلية المثمرة والفرح واحد من عدة انفعالات أساسية للنفس البشرية، وهي: الفرح، والحزن، والحب، والكراهة، والرغبة، والتعجب (٢).

والفرح الفطري المعروف، كغيره من الانفعالات التي خلقت مع الإنسان، وجبلت عليها النفس، فما من إنسان إلا وهو يفرح ويحزن (٣).

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية ١٢١/٦.

(٢) انظر: انفعالات النفس، ديكارت ص ٥١.

(٣) انظر: المدخل إلى عالم النفس الإسلامي، سبيعي ٣٤/٢.

والفرح المنهي عنهما هما اللذان تتعدى فيهما إلى ما لا يجوز^(١).

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَئِنْ آمَنَّا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

فالله تعالى بقدرته يحملكم في البر على الدواب، وفي البحر على السفن التي تسير على وجه الماء، حتى إذا كنتم في البحر على ظهور هذه السفن وجرين بهم بالريح اللينة الطرية التي تسير السفن فمن فطرتهم فرحوا بها، وفجأة جاءت بها ريح عاصف أي: جاءت بها الرياح الشديدة العاصفة المدمرة ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي وأحاطت بهم أمواج البحار من كل جهة ﴿وظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي أيقنوا بالهلاك رجعوا إلى طبيعتهم فدعوا الله مخلصين له الدين، أي: أخلصوا الدعاء لله وتركوا ما كانوا يعبدون^(٢).

قال القرطبي: «وفي هذا دليل على أن الخلق جبلوا على الرجوع إلى الله في الشدائد، وأن المضطر يجاب دعاؤه وإن كان كافراً، لانقطاع الأسباب، ورجوعه

إلى رب الأرباب، ﴿لَئِنْ آمَنَّا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أي: لئن أنقذتنا من هذه الشدائد والأحوال لنكونن من الشاكرين لك على نعمائك، والعاملين بطاعتك ومرضاتك^(٣).

ومعنى الإخلاص إفراده بالدعاء من غير إشراك أصنام وغيرها وقال الحسن: مخلصين لا إخلاص إيمان ولكن لأجل العلم بأنهم لا ينجيهم من ذلك إلا الله فيكون ذلك جارياً مجرى الإيمان الاضطراري ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس: ٢٣].

أي: فلما خلصهم وأنقذهم إذا هم يعملون في الأرض بالفساد والمعاصي قال ابن عباس: يبغون بالدعاء فيدعون غير الله ويعملون بالمعاصي^(٤).

من طبيعة الناس إظهار الفرح في المناسبات ومنه إظهار السرور في العيدين فهو من شعار الدين وإعلاء أمره، وفيه دليل أن العيد موضوع للراحات وبسط النفوس إلى ما يحل من الدنيا والأكل والشرب والجماع ألا ترى أنه أباح الغناء من أجل عذر العيد، فيجوز لهم إظهار الفرح في مثل هذا اليوم^(٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٢٥/٨.

(٤) انظر: البحر المحيط، أبو حيان ٣٤/٦.

(٥) انظر: الكواكب الدراري، الكرمانلي ٦٢/٢، حاشية السندي على سنن ابن ماجه ٥٨٧/١.

(١) انظر: السراج المنير، الشربيني ٢٢٣/٤.

(٢) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني ٥٤٠/١.

أنواع الفرح

يبين القرآن الكريم أنواع الفرح فمنه ما يمدح أو يذم بحسب السياق الذي ورد فيه، وهذا يعني أن للفرح أنواعاً ثلاثة:

النوع الأول: الم محمود، وهو ما يتعلق بالدين، وله آثاره الإيجابية.

النوع الثاني: المذموم، وقد تحدث عنه القرآن الكريم، فذكر صوراً منه، صدرت عن اليهود والمنافقين والكافرين والمترفين، وله آثار سلبية كثيرة.

النوع الثالث: الفرح المباح: هذ ينسجم مع طبيعة الإنسان السوية، مع ضرورة الاحتراز منه؛ لكيلا يؤدي التساهل فيه إلى الفرح المذموم.

أولاً: الفرح الممدوح:

إن أسمى درجات الفرح وأفضلها هو الفرح بالإسلام، فأمر الله به وأثاب عليه، ومن أعرض عنه كان له الضنك.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾

[يونس: ٥٧-٥٨].

وعن أبي سعيد الخدري، في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾، قال: «فضل الله: القرآن، ورحمته: أن جعلكم من

فغن عائشة قالت: (دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعث، قالت: وليستا بمغنياتين. فقال أبو بكر: أبزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا)^(١).

فالفرح: انفعال جبل عليه الإنسان وتلبس به، ومن الخذلان بقاء النفس على ما جبلت عليه، فلا بد من مقابلة هذا الفرح الفطري بشيء مكتسب؛ ليضبط هذا الانفعال، وهذا متوافر في توجيهات الشرع، وهي تؤدي هذه المهمة خير أداء، هذه المهمة التي أوكلها الفلاسفة وعلماء النفس إلى الإرادة، أو المكابدة، أو قوة التفكير فحرص الإسلام على تهذيب الفرح وتوجيهه؛ لإبراز الجانب الإيجابي منه، ولا استثماره بما يعود على النفس بالخير والسعادة^(٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، ٢/٦٠٧، رقم ٨٩٢.

(٢) انظر: الضوء المنير، ابن القيم ٣/٤٧٩.

أهله»^(١).

قال ابن القيم: «يريد بذلك أمرين؛ الأول: الفضل في نفسه، والثاني: استعداد المحل لقبوله، كالغيث يقع على الأرض القابلة للنبات، فيتم المقصود بالفضل وقبول المحل له.

وهذا الفرح الذي يقتضيه اللفظ؛ هو بفضل الله وهو هداية الناس للقرآن، والرحمة هي التوفيق إلى اتباع السنة التي هي الرحمة في الدنيا والآخرة»^(٢).

قال الرازي في تفسير قوله تعالى ﴿فَيَذَرُكَ فَيَقْرَهُ﴾: «يفيد الحصر؛ فيجب أن لا يفرح الإنسان إلا بذلك، فثبت أن الفرح بالذات الجسمانية فرح باطل»^(٣).

فالتعبير في الآية غاية في البلاغة؛ لما فيه من التأكيد والمبالغة في التقرير؛ فإن أصل المعنى بدونهما: قل ليفرحوا بفضل الله وبرحمته، فأخر الأمر وقدم متعلقة؛ لإفادة الاختصاص، كأنه قال: إن كان في الدنيا شيء يستحق أن يفرح به؛ فهو فضل الله ورحمته»^(٤).

والفرح بفضل الله وبرحمته أفضل وأنفع

لهم مما يجمعونه من الذهب والفضة، والخيل المسومة، والأنعام، والحرث، وسائر متاع الدنيا مع فقدهما، لا لأنه سبب سعادة الآخرة الباقية المفضلة على الحياة الدنيا الفانية - كما اشتهر فيما خطته الأقلام ولاكته الألسنة - بل لأنه هو الذي يجمع بين سعادة الدارين، كما حصل بالفعل؛ إذ كانت هداية الإسلام بفضل الله وبرحمته سبباً لما ناله المسلمون في العصور الأولى من الملك الواسع، والمال الكثير، مع الصلاح والإصلاح، والعدل والإحسان، والفوز الكبير، فلما صار جمع المال، ومتاع الدنيا، وفرح البطر به هو المقصود لهم بالذات، وتركوا هداية الدين في إنفاقه والشكر عليه؛ ذهبت دنياهم من أيديهم إلى أيدي أعدائهم»^(٥).

إن الآيات هدفت أول ما هدفت إلى التنويه بالقيمة العليا لهذا الدين، الذي أخرج من آمن به من عالم الأموات إلى عالم الأحياء، وجعلهم يدركون أن للحياة معنى أسمى وأعظم مما يتصوره الكافرون الجامعون لمتاعها.

فهذا الفضل الذي آتاه الله عباده، وبهذه الرحمة التي أفاضها عليهم من الإيمان، فبذلك - وحده - فليفرحوا، فهذا هو الذي يستحق الفرح، لا المال، ولا أعراض

(٥) انظر: المصدر السابق ١١/٤٠٦.

(١) المعجم الأوسط، الطبراني ٣٤٧/٥، رقم ٥٥١٢.

(٢) الضوء المنير، ابن القيم ٣/٤٥٤.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي ١٧/١٢٣-١٢٤.

(٤) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٤٠٦/١١.

حين أخرجهم من الظلمات إلى النور. وعن عقبة بن الوليد، عن صفوان بن عمرو، قال: سمعت أيفع بن عبيد الكلاعي يقول: لما قدم خراج العراق إلى عمر رضي الله عنه خرج عمر وموئى له، فجعل عمر يعد الإبل، فإذا هي أكثر من ذلك، فجعل عمر يقول: «الحمد لله تعالى» ويقول مولاه: «هذا والله من فضل الله ورحمته»، فقال عمر: «كذبت، ليس هذا هو الذي يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتُهُ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾» [يونس: ٥٨] (٤).

فالفرح بالقرآن، وبالإسلام، وبالرحمة فرح محمود؛ لأن هذه الأمور ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾، أي: يجمع الكافرون من متاع وضياح، وهم في غيهم سامدون. فما جمع من مال بين يدي عمر صعب عليه إحصاؤه يستدعي الفرح ولا شك، لكنه رضي الله عنه مهما كان لا يرقى بحال إلى أن يفرح به كفرحه بالإسلام، الذي كان سبباً في هذا الخير.

وفي قوله تعالى ﴿يَجْمَعُونَ﴾، قرأ رويس بقاء الخطاب (تجمعون)؛ خطاباً للمسلمين، والباقون بياء الغيبة، (يجمعون) والمقصود الكفار، (٥) أي: خيرٌ كذلك مما تجمعون

هذه الحياة، إن ذلك هو الفرح العلوي، الذي يطلق النفس من المطامع الأرضية والأعراض الزائلة، فيجعل هذه الأعراض خادمة لا مخدومة، ويجعل الإنسان فوقها وهو يستمتع بها، لا عبداً خاضعاً لها» (١).

ومن الفرح الممدوح فرح الصحابة الكرام عندما سمعوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم للأعرابي الذي سأله عن الساعة: «(أنت مع من أحببت)»، فيقول أنس: «فما رأيت فرح المسلمين بعد الإسلام فرحهم أشد مما فرحوا به»، وفي حديث آخر جاء قوله: «فما فرحنا بشيء بعد الإسلام فرحنا بقول النبي - صلى الله عليه وسلم: (أنت مع من أحببت)» (٢).

وكذلك عندما بشر الرسول صلى الله عليه وسلم أنسا بفضل انتظاره لصلاة العشاء؛ قال: (فما فرحت بعد الإسلام فرحي به) (٣).

فالصحابة كانوا يفرحون مما يستحق الفرح - ففرحهم بالإسلام؛ جعلهم يشعرون م بالنقلة التي نقلهم الإسلام إليها

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب ٣/ ١٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب علامة حب الله عز وجل، ٨/ ٤٠، رقم ٦١٧١.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب من أحق بالإمامة، ١/ ٢٢٨، رقم ٥٨٥. وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٣١١/ ١، رقم ١٤٨٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٢٧٥.

(٥) انظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، القاضي ص ١٤٩، البحر المحيط، أبو حيان ٥/ ١٧٠.

أنتم أيها المسلمون، ولعل هذا ما يشير إليه قول عمر رضي الله عنه.

قرئ فلتفرحوا بالتاء، قال الفراء: وقد ذكر عن زيد بن ثابت أنه قرأ بالتاء وقال: معناه فبذلك فلتفرحوا يا أصحاب محمد هو خير مما يجمع الكفار، قال وقریب من هذه القراءة قراءة أبي فبذلك فافرحوا والأصل في الأمر للمخاطب والغائب اللام نحو لتقم يا زيد وليقم زيد، وذلك لأن حكم الأمر في الصورتين واحد، إلا أن العرب حذفوا اللام من فعل المأمور المخاطب لكثرة استعماله، وحذفوا التاء أيضا وأدخلوا ألف الوصل نحو اضرب واقتل ليقع الابتداء به وكان الكسائي يعيب قولهم فليفرحوا لأنه وجده قليلا فجعله عيبا إلا أن ذلك هو الأصل^(١).

إن الفرح بالإسلام يقتضي الفرح بمن أنزله، وتفضل به على خلقه، ولهذا يفرح المسلمون بالله، وتطمئن قلوبهم بذكره وتأنس، ويفرح المسلمون أيضا برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حمل لهم الإسلام من الله، فعن البراء بن عازب في الهجرة، (أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلنا يقرئنا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب

في عشرين ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء فما جاء حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى في سور مثلها)^(٢).

قال ابن القيم: «الفرح بالعلم والإيمان والسنة دليل على تعظيمه عند صاحبه، ومحبه له، وإيثاره له على غيره، فإن فرح العبد بالشيء - عند حصوله له - على قدر محبه له ورغبته فيه، فمن ليس له رغبة في الشيء، لا يفرحه حصوله له، ولا يحزنه فواته؛ فالفرح تابع للمحبة والرغبة»^(٣).

وهنا فرح محمود آخر وهو أهل الكتاب بالإسلام، وقد أشار إليه قول الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٦].

فأهل الكتاب من اليهود والنصارى يفرحون بالقرآن والإسلام، وأهل الكتاب هنا من أسلم منهم، كعبد الله بن سلام رضي الله عنه.

قال السعدي: «الشهادة إذا أضيفت إلى طائفة، أو أهل مذهب، أو بلد ونحوهم، فإنها إنما تتناول العدول الصادقين منهم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (لتركن طبقاً عن طبق)، ١٦٨/٦، رقم ٤٩٤١.

(٣) الضوء المنير، ابن القيم ٣/ ٤٥٥-٤٥٦.

(١) انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ٢/ ٢٨٥، مفاتيح الغيب ١٧/ ٢٧٠.

إخوانكم، ولنظفرون نحن عليكم، فنزلت فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه: لا يقرر الله أعينكم، فوالله لتظفرون الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف: كذبت يا أبا فضيل، اجعل بيننا أجلاً أنا حيك عليه. والمناحية: المراهنة فناهجه على عشر قلائص من كل واحد منهما، وجعلنا الأجل ثلاث سنين، فأخبر أبو بكر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايدة في الخطر وماده في الأجل، فجعلناها مائة قلوصل إلى تسع سنين، ظهرت الروم على فارس، وذلك عند رأس سبع سنين، وقد ورد أن هذا النصر تزامن مع غزوة بدر؛ فتكون الإشارة إلى فرح المسلمين بالانتصار

على كفار مكة، وهي بشرى بفرح آجل، وقد تحقق، وهذا يجعل فرح المسلمين مضاعفاً، حين فرحوا بانتصارهم على كفار مكة، ثم فرحوا بانتصار الروم على الفرس^(٤).

فأنزل الله تعالى هذه الآيات مشيرة إلى هزيمة الروم وأن الفرس سيهزمون في معركتهم القادمة مع الروم، وسيكون هذا بعد بضع سنين، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِجُ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٥)، وقد تحقق وعد الله.

قوله تعالى: (غلبت) قرئت بالفتح

(٤) انظر: الكشاف، الزمخشري ٤٦٦/٣.

وأما من عداهم، فلو كانوا أكثر من غيرهم فلا عبرة فيهم، لأن الشهادة مبنية على العدالة والصدق، وقد حصل ذلك بإيمان كثير من أحبارهم الربانيين، كـ «عبد الله بن سلام» وأصحابه وكثير ممن أسلم في وقت النبي صلى الله عليه وسلم، وخلفائه، ومن بعده و«كعب الأحبار» وغيرهما^(١).

وهذه بعض صور من الفرح المحمود:

١. الفرح بنصر الله.

قال تعالى: ﴿غَلِبَتِ الرُّومُ﴾^(٢) فِي آدَقِ الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرِجُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ [الروم: ٢-٥].

احتربت الروم وفارس بين أذرعات^(٢) وبصرى^(٣)، فغلبت فارس الروم، فبلغ الخبر مكة فشق على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين؛ لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل الكتاب، وفرح المشركون وشمتموا وقالوا: أنتم والنصارى أهل الكتاب، ونحن وفارس أميون، وقد ظهر إخواننا على

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٧٣.

(٢) بلد في أطراف الشام، يجاور أرض البلقاء وعمان، ينسب إليه الخمر. معجم البلدان، ياقوت الحموي ١/ ١٣٠.

(٣) من أعمال دمشق، وهي قسبة كورة حوران. معجم البلدان، ياقوت الحموي ١/ ٤٤١.

قال ابن القيم: «حين يلقي المؤمن أهله وأصحابه، فيفرحون به ويفرح بهم، فرح الغائب يقدم على أهله، وهذا كله قبل الفرح الأكبر، يوم حشر الأجساد، بجلوسه في ظل العرش، وشربه من الحوض» (٣).

إن فرح المؤمن بلقاء الله عندما يقال له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) ﴿آتِجِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (٢٨) ﴿فَادْخُلِي فِي عِندِي﴾ (٢٩) ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (٣٠) [الفجر: ٢٧-٣٠].

فلو لم يكن له إلا هذه الفرحة وحدها، لكان العقل يأمر بإيثارها، فكيف ومن بعدها؛ أنواع من الفرح؟ ويظهر هذا على الناجي يوم القيامة فيأخذ كتابه بيمينه، وهو يدعو الخلائق كلها لتقرأ كتابه في رنة الفرح والغبطة ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِي﴾ (١) ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَئِنِّي حَسْبَاءَ﴾ (٢) [الحاقة: ١٩-٢٠] (٤).

وآخر فرح هو الفرح برؤية وجه الله تبارك وتعالى، فعن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل أهل الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ يقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾

على البناء للمعلوم، والروم فاعل، وقرئت (سيغلبون) بالمبني للمجهول، أي: سيغلبهم المسلمون فيما بعد، ويفرحون بهذا النصر» (١).

فالمسلم مأمور بأن يفرح، حين ينتصر الحق على الباطل، في أي من ميادين الصراع، وهو فرح محمود يثاب عليه.

٢. فرح الشهداء بلقاء الله تعالى.
لقد ذكر القرآن الكريم فرح الشهداء، أولئك الذين فرحوا بالإسلام في الدنيا؛ فهانت عليهم أرواحهم في سبيله؛ فماتوا من أجله؛ فامتد فرحهم في الآخرة؛ يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (٣١) ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَكَسْتَشِيرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٢) [آل عمران: ١٦٩-١٧٠].

وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن (أرواح الشهداء عند الله يوم القيامة في حواصل طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم ترجع إلى قناديلها فيشرف عليهم ربهم فيقول ألكم حاجة تريدون شيئاً فيقولون لا إلا ان نرجع إلى الدنيا فنقتل مرة أخرى) (٢).

(١) البحر المحيط، أبو حيان ١٦١/٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، ١٨٨٧، رقم ١٥٠٢/٣.

(٣) الروح، ابن القيم ص ٣٩٩.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/٣٦٧٦.

[يونس: ٢٦] (١).

قال مروان لرافع بوابه: اذهب إلى ابن عباس وقل له: لئن كان امرؤ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل عذب، لنعذبن أجمعين، فقال ابن عباس: ما لكم ولهذا، إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم إياه، ثم قرأ ابن عباس ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُذِلَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧] (٣).

التبس على مروان بن الحكم معنى هذه الآية، وكان قد غفل عن سبب نزولها، ورأى أن فيها وعيدًا وتهديدًا لمن يفرح ويحب الثناء، وعلى هذا لن ينجو أحد من العذاب؛ فكل الناس يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

فكان اليهود يخالطون الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة أحيانًا، وحدث أن سألهم الرسول صلى الله عليه وسلم سؤال اختبار وكشف نيات، فكذبوا عليه، ثم فرحوا بهذا الكذب، ثم أشعروا الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم يستحقون منه المدح والثناء

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب لا يحسن الذين يفرحون بما أوتوا ٤٠ / ٦، رقم ٤٥٦٨.

إن الفرح المحمود الطيب بآثاره، والمثاب صاحبه عليه - له حلاوة لمن تذوقها فلا يلقي بالاً لغيرها، وهذا الفرح المحمود من أسمى أقسام الفرح وأكملها، وتخلو صوره كلها من المكدرات والشوائب، ومن المزاحمات، فلا شحناء ولا تحاسد (٢).

ثانيًا: الفرح المذموم:

عرض القرآن الكريم الفرح المذموم، فذكر منه صورًا، أسندها إلى طوائف من الناس صدر عنهم هذا الفرح، وكان هذا الفرح المذموم له أسبابه، ودوافعه، آثاره. والمتأمل في الآيات القرآنية - التي تحدثت عن هذا الفرح المذموم، نجد أن أكثرها في اليهود والمنافقين والكافرين والمترفين. وهذه بعض صور الفرح المذموم من خلال الآتي:

١. فرح اليهود.

قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ١ / ١٦٣ رقم ١٨١.

(٢) انظر: مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة ص ٢١٣.

على تجاوبهم.

قال الضحّاك: «كتب يهود المدينة إلى يهود العراق واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها إن محمدا ليس نبي الله فاثبتوا على دينكم وأجمعوا كلمتكم على ذلك، فأجمعت كلمتهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، ففرحوا بذلك وقالوا: الحمد لله الذي جمع كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا، وقالوا: نحن أهل الصوم والصلاة ونحن أولياء الله، فلذلك قول الله تعالى يفرحون بما أتوا - بما فعلوا - ويحبون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا - يعني بما ذكروا من الصوم والصلاة والعبادة»^(١).

وقد توعّد الرسول صلى الله عليه وسلم من يكذب؛ من أجل أن يضحك الناس، ويدخل الفرّج إلى قلوبهم^(٢)، فالكاذب يفرّج؛ لأنه استطاع أن يضحك الناس، وهم يضحكون ويفرحون بما يسمعون.

٢. فرح المنافقين.

إن الصلة وثيقة بين المنافقين واليهود؛ فإن اليهود احتضنوا بذرة النفاق ورعوها، وكان منهم منافقون.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

لَيْنَ أَخْرَجْنَاهُ لَنَخْرِجَنَّهُ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر: ١١].

فالكذب أبرز صفة في المنافقين، وهو الذي يميزهم عن أهل الكفر الصريح، فهو عندهم منهج حياة؛ فكان أول وعيد للمنافقين على كذبهم: بقوله تعالى ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠].

وعن أبي سعيد الخدري: (أن رجلاً من المنافقين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو، تخلّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغزو اعتذروا إليه، وحلفوا وأحبوا أن يحمّدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ [آل عمران: ١٨٨]^(٣).

وهناك آياتٌ صريحةٌ في الحديث عن فرح المنافقين المذموم، والذي ظهر منهم في تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرْبِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: ٨١].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ٢١٤٣/٤، رقم ٢٧٧٧.

(١) انظر: أسباب نزول القرآن، الواحدي ص ٩٢
(٢) انظر: سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس ٥٥٦/٤.

كشف هذا الفرح عن كذب المنافقين، وكشف كذلك عن كراحتهم لهذا الدين؛ إذ لو كان في قلوبهم إيمان، لبكوا بسبب تخلفهم عن الغزو مع الرسول صلى الله عليه وسلم كما حصل مع فقراء المسلمين. قال تعالى: ﴿إِذَا مَا أُنْزِلَتْ إِلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا لَوْلَا يُنْفِرُونَ﴾ [التوبة: ٩٢].

إن البكاء من هؤلاء بسبب عدم الخروج علامة صدق وإيمان، كما كان الفرح من أولئك للسبب نفسه - وهو عدم الخروج - علامة كفر ونفاق، وقد توعدهم الله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢].

والضحك هنا كناية عن الفرح، أو أريد ضحكهم فرحاً؛ لاعتقادهم ترويج حيلتهم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم رد تعالى الملامة على الذين يستأذنون في القعود وهم أغنياء، وأنهم في رضاهم بأن يكونوا مع النساء الخوائف في الرحال^(٢).

وكذلك يفرح المنافقون، إذا مس المسلمين قرح، أو نزلت بهم نكسة، وتبدو عليهم مظاهر الإعجاب؛ قال تعالى: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ

فقول الله تعالى ذاماً للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وفرحوا بمقعدهم بعد خروجه، ﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ معه ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا﴾ أي: بعضهم لبعض: وقالوا ﴿لَا نَنْفِرُ فِي الْحَرِّ﴾؛ وذلك أن الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحر، عند طيب الظلال والثمار، فلماذا قالوا ﴿لَا نَنْفِرُ فِي الْحَرِّ﴾ قال الله تعالى لرسوله: قل لهم: ﴿نَارُ جَهَنَّمَ﴾ التي تصيرون إليها بسبب مخالفتكم ﴿أَشَدُّ حَرًّا﴾ مما فررت من الحر، بل أشد حراً من النار^(١).

فتخلف المنافقون عن مشاركة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام في الخروج للغزو، ثم جاؤوا يعتذرون، فعذرهم الرسول إلهاماً لهم، وتقليلاً من شأنهم، ففرحوا حيثئذ بعدم الخروج، وفرحوا بإعذار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم.

قال تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَمْتَدِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩٤].

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ١٨٩.

(٢) انظر: المصدر السابق ٤/ ٢٠٠.

وَيَسْتَوِلُّوهُمْ فَرِحُوا ﴿٥٠﴾ [التوبة: ٥٠].

وقد أظهر إخوانهم اليهود من قبل الفرح بمصائب المسلمين، حيث ذكر القرآن الكريم في سياق الحديث عن قبائح أهل الكتاب، فقال تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَكْبِرُوا فَسَيَكُنْ آلُكُمْ كَكُفَرِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

فالطائفتان تفرحان بمصائب المسلمين، وكذلك فرح كفار قريش بانتصار الفرس على الروم، مع أنه لم تكن هناك مودة أو تعاون بينهما، فالتشابه في المشاعر بين اليهود والمنافقين والكفار ليس بمستغرب؛ فالكفر ملة واحدة، والقواسم المشتركة في عداوة الجميع لهذا الدين وأهله، لذا حري بالمسلمين أن يجمعهم الفرح المحمود وميادينه، كما جمع الفرح المذموم أعداءهم^(١).

٣. فرح الكافرين.

ذكر القرآن الكريم فرح الكافرين في أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ كَذَّابٌ ﴿١٠﴾ وَلَمَّا أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرْأَةٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١١﴾﴾ [هود: ٩-١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَلَمَّا نَضَبْنَا إِلَيْهِمْ سِنِينَ يُبَايِعُكُمْ أَيْدِيَهُمْ إِذَا

هُمْ يَقْنُطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الروم: ٣٦].

وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَلَمَّا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَلَمَّا نَضَبْنَا إِلَيْهِمْ سِنِينَ يُبَايِعُكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ [الشورى: ٤٨].

وتشير الآيات إلى الإنسان الكافر باعتبار أنه جبل على عدم الاتزان، فالكافر أبرز أفراد النوع الإنساني في هذا المجال؛ لأن هذا الخلق هو عدم التوازن^(٢) لا يزيله إلا الإسلام؛ فالذين لم يسلموا باقون عليه^(٣).

إذا أذاق الله تعالى الإنسان رحمة فرح بها أي: إذا أعطاه رخاء وصحة وغنى فرح بها بطراً، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا نَضَبْنَا إِلَيْهِمْ سِنِينَ يُبَايِعُكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ [النساء: ٧٨] أي: بلاء وشدة ومرض بما قدمت أيديهم من الذنوب فإن الإنسان كفور أي: كثير الكفر لما أنعم به عليه من نعمه، غير شكور له عليها، وهذا باعتبار غالب جنس الإنسان^(٤).

لقد كان لعدم توازن الكافر في انفعالاته مظاهر وآثار منها: أن فرحه محصور في الدنيا، ولا يلتفت إلى الآخرة، يقول الله تعالى: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي

(٢) انظر: السعادة والإسعاد في السيرة الإنسانية، العامري ١٣٥/٢٥.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ١٢١/٢٢.

(٤) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٦٢٣/٤.

الْآخِرَةِ لَا مَتَّعٌ ﴿الرعد: ٢٦﴾.

أجابهم سليمان عليه السلام: أنتم وحدكم الذين تفرحون بمثل هذه الأشياء، أما نحن، فإننا نفرح بما آتانا الله من إيمان؛ فهو مصدر الفرح الحق.

فالفرح بالرحمة مأمور به، وفرحوا برحمة الله، وهو كما أن الملك لو حط عند أمير رغيفاً على السماط أو أمر الغلمان بأن يحطوا عنده زبديّة طعام يفرح ذلك الأمير به، ولو أعطى الملك فقيراً غير ملتفت إليه رغيفاً أو زبديّة طعام أيضاً يفرح لكن فرح الأمير بكون ذلك من الملك وفرح الفقير بكون ذلك رغيفاً وزبديّة^(٣).

إن الفرق ظاهر بين حال الكافر في فرحه وحال المؤمن، فارتباط فرح الكافر بالنعمة ذاتها يفسر عدم توازنه؛ لأنه يفرح بها فرح البطر إذا أقبلت، ويحزن حزناً شديداً إذا فقدتها؛ لافتقاره للضابط المكتسب، الذي يكبح انفعالاته.

أما المؤمن، فإنه حين ترتبط النعمة عنده بالله تعالى؛ فإنه يفرح بها فرح المقر بفضل الله الوهاب لها، فلا يبطر؛ لأن المعطي فوقه يرقب فعله، وإن نزعت منه النعمة، أو فاته الحصول عليها يصبر؛ لاعتقاده أن ما حصل كان بقضاء الله وقدره، وقد تعود إليه، ويظفر بها مرة أخرى ما دام أمرها بيد الله تعالى.

هذا التوازن هو الذي يفترق إليه الكافر؛

إن في الدنيا أشياء مفرحة تغري بالإنسان، ويبش لها؛ ولكنها قليلة زائلة، يخالطها الكدر والشوائب، وهي لا شيء إذا ما قيست بما في الآخرة من نعيم مقيم يفرح، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لولا أن كتب الله الخلود على أهل الجنة، لماتوا فرحاً)^(١).

إن فرح الكافر مذموم، حين حصره في الدنيا على حساب الآخرة، وما نعيم الدنيا إلا مجرد ذوق، كما أشارت الآيتان السابقتان ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾^(٢).

وفي قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، نموذجان لفرح المؤمن وفرح الكافر: لقد فرح أهل سبأ بهديتهم التي حملت إلى سليمان، وهي شيء تافه إذا ما قيست حتى بنعيم الدنيا، وقد ظنوا أن نبي الله سليمان سيفرح بالهدية كما فرحوا: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِأَلِفٍ أَلْفٍ فَهَذَا نَبِيٌّ أَنَا وَرَأْسُ الْعَالَمِ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ [النمل: ٣٥-٣٦].

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن، باب، ومن سورة مريم، ٣١٥/٥، رقم ٣١٥٦.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ١٣٢٥/٢، رقم ٧٩٩٨.

(٢) انظر: روح المعاني، الألويسي ١٥/٢٢.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ١٠١/٢٥.

إعجاباً منه بما هو عليه، وتجاهلاً لأي صوت آخر؛ ولهذا كان فرحه فيما لا ينبغي، وعلى الوجه الذي لا ينبغي.

إن هذا المسلك الذي ارتضاه الكافرون أغرى بهم، فجعلهم يعرضون عن دعوة الرسل فرحاً بما عندهم وقناعةً به، وزهداً بما وراءه، ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

ويلحظ في الآية قوله تعالى: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ﴾، وفي الآية الثانية ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، فهذا الذي يفرحون به من بدعهم هم، أو مما توارثوه واعتادوا عليه، وهو لا يغني من الحق شيئاً، أما المؤمنون فإنهم يفرحون بما جاءهم من عند الله؛ فهو الرحمة والشفاء.

ناسب أن يأتي بعد قوله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٤].

وذلك تمثيل لحال اشتغالهم بما هم فيه من الازدهار وترف العيش، عن التدبر فيما يدعوهم إليه الرسول لينجيهم من العقاب بحال قوم غمرهم الماء، فأوشكوا على الغرق، وهم يحسبون أنهم يسبحون^(١).

فأبواب التيه والخسران في الدنيا والآخرة فتحت على الكافرين، وكان سببها الفرح الباطل المذموم.

٤. فرح المترفين.

إن فرح المترفين أمثال قارون ومن على شاكلته، جعله نموذجاً لكل المترفين أمثاله، الذين صدر منهم الفرح المذموم؛ فقارون من اليهود الذين عرف عنهم حب المال وعبادته، وتقديم الفرح به على كل شيء.

فعن قتادة قوله: «كنا نحدث أنه كان ابن عم موسى، وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري، فأهلكه البغي لكثرة ماله»^(٢).

وفي القرآن الكريم إشارة إلى كفر قارون، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۖ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٣-٢٤].

فكفر قارون ظاهراً، لا إشكال فيه.

يبدو من خلال المحاورة بين قارون وقومه أنه كان مؤمناً، كقولهم له: ﴿وَأَتَّبِعْ فِيمَا أَمَرَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

فقارون تنقل بسبب فرحه ومرحه من

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٢٥٣.

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٨/ ٧٣.

على ما أعطاهم^(٣).

إن أصحاب الفرح الباطل فتنةٌ لغيرهم من الناس، بخاصة أولئك الذين تعلقت نفوسهم بالدنيا ومتاعها، فكانوا بحاجة إلى تقريع يعيد لهم صوابهم، وهو ما قامت به الفتنة المؤمنة، التي تستحق الوصف بالوصف المتقدم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [القصص: ٨٠].

كان هلاك قارون مؤذناً بأن الترف لا ينجي من عذاب الله تعالى، وكان في هلاكه وعيد شديد، لمن هم على شاكلته من المترفين المنحرفين، وتسلية للمؤمنين.

فالفرح المذموم له آثارٌ سلبية، فهو يجعل صاحبه يسيء الظن بالله؛ لأنه يخشى أن ينزع الله منه الأشياء المفرحة، والفرح المذموم - الذي لا ضابط له - يؤدي إلى حزن مدموم لا ضوابط له عند فوات نعمة، أو حصول نقمة، وهذا الشعور يفضي إلى التسخط، وعدم الرضا بالقضاء والقدر؛ وهذا هو الخسران بعينه.

والفرح المذموم يلهمي عن شكر المنعم؛ لانشغال صاحبه بالفرح وآثاره المتمثلة بالمرح بأنواعه، ولاعتقاده بأن لا فضل لأحد عليه، ولقد قالها قارون من قبل حين دعي إلى الشكر: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨].

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ١٩/٦٢٣.

حالة إلى أخرى أسوأ منها، وهذا من آثار الفرح المذموم، الذي يستدرج صاحبه، ويغري به حتى يورده النار.

إن ترف قارون ومرحه جعله أنموذجاً لكل أصناف الفرح المذموم؛ فقارون عرف عنه حب المال وعبادته، وتقديم الفرح به على كل شيء. وقد كان من بني إسرائيل، قوم موسى، فاتاه الله تعالى مآلاً كثيراً، فرح به فرحاً جعله يتجاوز الحد، فتطاول على قومه، وأعرض عن الاعتراف بفضل الله، وتجاهل الحقوق الواجبة عليه، فاستحق بذلك ما استحق^(١).

فقارون بغى على قومه، وانحاز إلى فرعون، فاستدرجه الله تعالى بأن آتاه مآلاً كثيراً، فلما فتن به وفرح، أهلكه الله.

فالفرح أمر قد وقع، فالمعنى: لا يظهر عليهم بركته، ولا يعمهم رحمته. ولما نهوه عن الفرح المطغى، أمره بأن يطلب، فيما آتاه الله من الكنوز وسعة الرزق، ثواب الدار الآخرة، بأن يفعل فيه أفعال البر، وتجعله زادك إلى الآخرة^(٢).

ونقل الطبري عن ابن عباس: الفرحين: المرحين، وعن مجاهد: المتبذخين، الأشرين، البطرين الذين لا يشكرون الله

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب ١٠/٣٨٣.

(٢) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، ٣٢٥/٨.

إن عدم الشكر سبب مباشر لنزع النعم، ولعذاب الله ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

ومن آثار الفرح المذموم الركون إلى الدنيا، والرضا بها، والحرص عليها؛ خشية أن يفوته بعض ما فيها من وسائل الفرح ودواعيه، وهذا يشغله - ولا شك - عن الآخرة والعمل لها.

يورث الفرح المذموم صاحبه العجب؛ بسبب حصوله على ما يفرح، والعجب مدعاة للاستهزاء بالآخرين، والبغي عليهم، كما فعل قارون.

ثالثاً: الفرح المباح:

الفرح لا تكاد تخلو منه نفس بشرية؛ فإنها تفرح، وتبدي سرورها ورضاها، حين تباشر ما من شأنه أن يفرحها في العادة، على اختلاف في الأشياء المفرحة بين إنسان وآخر، فقد يطير إنسان ما فرحاً بشيء، لا يحرك هذا الشيء نفسه ساكناً عند آخر، ولا عجب، فإن المفرحات أشياء مكتسبة، بخلاف الفرح نفسه، هذا مع الإقرار بوجود أشياء يفرح عامة الناس بها؛ كالمال، والنجاح، والحياة، والتميز، وما شابه ذلك. إن الفرح مباح، معفو عنه؛ كونه انفعالاً، ما لم يطرأ عليه مؤثر خارجي يحيله إلى فرح محمود، أو مذموم، ومن هنا وجه الشرع

عنايته إلى تهذيب الفرح وضبطه. إن المسلم أولى الناس بهذا الفرح؛ فإن فيه إظهاراً لنعمة الله تعالى عليه، وانسجاماً مع طبيعة النفس السوية. لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يضحك ضحك الفرح عندما يرى ما يسره، وكان يضحك مما يضحك الناس، وكان يتعجب مما يتعجب من مثله، ويستغرب وقوعه^(١).

فلما قدم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه من الحبشة إلى المدينة، يوم أن فتح الرسول صلى الله عليه وسلم خير، فتلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم وقبل جبهته، وقال: (والله ما أدري بأيهما أفرح: بفتح خير أم بقدوم جعفر)^(٢).

فالرسول صلى الله عليه وسلم يفرح، ويسعى؛ ليفرح أصحابه معه، فقد جاء في حديث الدجال قوله صلى الله عليه وسلم: (لكن تميماً أتانني، فأخبرني خبراً منعني القيلولة؛ من الفرح وقرة العين، فأحببت أن أنشر عليكم فرح نبيكم)^(٣).

(١) انظر: زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن القيم ١/ ١٧٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، ٢/ ٦٨١، رقم ٤٢٤٩.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال، وخروج عيسى ابن مريم، وخروج يأجوج، ومأجوج ٢/ ١٣٥٤ رقم ٤٠٧٤. وصححه الألباني

دوافع الفرح

راعي الإسلام طبيعة الفطرة الإنسانية: فنجد أن هناك فرحاً مشروعاً شاملاً لجميع حاجات ودوافع الإنسان التي تتطلبها جوانبه المختلفة مثل (الروح، والعقل، والجسد) مما يدل على أن من خصائصه العموم والشمول ومراعاة الفطرة.

لقد خلق الله الإنسان من طين، ونفخ فيه من روحه، وجعل لكل من الجسد والروح مطالبه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

والإنسان نفس ومزاج وأعصاب وإحساس، وهي وإن لم تكن ظاهرة إلا أن لها الدور الأعظم في صحة الجسد، وانتشاله من كثير من الأمراض، ولو تأمل الإنسان القرآن العظيم الذي ما فرط في شيء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

فالقرآن ذكر أموراً وأشياء تدخل السعادة على النفس، إضافة إلى أمور أخرى تنبع من داخل النفس والذات الإنسانية.

وهذه الدوافع على أنواع تتناولها في النقاط الآتية:

أولاً: دوافع فكرية:

الفرح من الانفعالات الإنسانية الفطرية التي لا بد أن تتاب كل أحد منا في فترة من

وكان الصحابة الكرام إذا رأوا الغيم، فرحوا^(١)؛ استبشاراً بنزول المطر وإنبات الأرض، وما يتبع ذلك من خيرات تتمناها النفس، وتفرح بها.

إن توبيخ الله تعالى للكافرين بقوله: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [غافر: ٧٥] - دليل على أن الفرح بالحق ممكن أن يكون محموداً أو مباحاً جائزاً.

فالفرح المباح قد يشتد، فيوقع صاحبه في أخطاء غير مقصودة، في أثناء تعبيره عن هذا الفرح، أي: تجاوز الصواب، وهو قول العبد الذي أضل راحلته: (اللهم أنت عبيدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح)^(٢)؛ فلما اشتد عليه الفرح منع صاحبه من إدراك البديهيّات، فضلاً عن غيرها.

(١) في صحيح الجامع، ١/٤٩١، رقم ٢٥٠٨. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم)، ٦/١٣٣، رقم ٤٨٢٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، ٤/٢١٠٤، رقم ٢٧٤٧.

الفترات، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَا﴾ [النجم: ٤٣].

لقد بين لنا القرآن الكريم المنهج السليم الذي يجب أن يقوم عليه الفرح لدى الفرد، فالفرح أمر نسبي يتوقف على أهداف الإنسان في الحياة، فمن كان هدفه الحصول على شيء من متاع الدنيا فقط وهذا حال الكثيرين ومنهم الكفار، كان نجاحه في تحقيق أهدافه باعثاً على فرحه وسروره قال تعالى: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ [الرعد: ٢٦].

وهذا النوع لا ينعم في الواقع بالحياة السعيدة المطمئنة المستقرة، فإذا أنعم الله عليه بنعمة الصحة وسعة الرزق ووفرة المال شعر بالفرح والسعادة، وإذا ما أصابه ضرر أو بلاء وفقد بعض النعم التي كان يتمتع بها أو عجز عن تحقيق هدف يأمل به تملكه الاكتئاب واليأس والاضطراب وجحد بالنعم الأخرى^(١).

والدوافع الفكرية تنقسم إلى قسمين:

❖ دوافع فكرية حسية.

❖ دوافع فكرية غير حسية.

وهذا ما سيتم الحديث عنه في النقاط الآتية:

١. دوافع فكرية حسية.

الدوافع الفكرية الحسية الخارجية

(١) انظر: القرآن وعلم النفس، نجاتي ص ٨٦.

للفرح، مثل: النظر في الألوان.
قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُفْعَفُ فِي الصُّورِ وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢] وقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ [يس: ٨٠].

وقال سبحانه ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْثُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩].

من دوافع الفرح الفكرية النظر إلى الألوان لما لها التأثير على فرح لإنسان، فهي تعالج النفس، وتعديل الطبع والمزاج، وتسمو بالأرواح، وتغذي الأعصاب وتفيد الإحساس بالراحة^(٢).

وتأثير اللون في حياة البشر اليومية لا يخفى على أحد، فهناك ألوان تبعث السرور في النفس، وتشيع السعادة في حياة الفرد، ومنها ما ينفر منه المرء، وتشعره بالكآبة

(٢) انظر: مجلة العلم عدد ٢٨١، فبراير ٢٠٠٠، ص ٢٢.

الجنة أشد بياضا من اللبن» (٢).

وأما اللون الأسود: ورد ذكره في القرآن الكريم في جزاء الفرح المذموم، و حال الكفار في عرصات يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْيَقِينَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَوُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].
فللون الأسود في تلك الآيات الكريمة، لون الحزن والهم والغم والكآبة في الدنيا، وكذلك هو لون جهنم، كما في حديث أبي هريرة قال: (أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة) (٣).

وأما اللون الأزرق: قال تعالى ﴿يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

يقول أبو السعود: «يحشر المجرمون

والممل والاضطراب النفسي، وهناك ألوان ترفع معنويات الفرد، وأخرى تثبطها، ومنها ما يوحى بدفء المشاعر، ومنها ما يوحى ببرودها وجمودها.

وذكر القرآن الكريم في مواضع عديدة الألوان وهي: الأبيض والأخضر والأصفر والأحمر والأسود واللون الأزرق.

فاللون الأبيض، ذكر للصفاء، والقلوب الطيبة التي لا تخفى أضغاثا، كالمرآة تعكس ما يقع عليها، لذا كان علامة على وجوه أهل السعادة يوم القيامة، وهو لون شرابهم وكؤوسهم وأنهارهم، ولون نسائهم، هو اللون العاكس لحال السعداء.

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [الصافات: ٤٥-٤٦].

قوله: ﴿بَيْضَاءَ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿قَوَارِيرَ مِّن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٦].
أي: قوارير كأنها في بياضها من فضة، فهن إضاءات صافيات الغلائل فيها أنها في طيب الرائحة وسطوعها، وأرجها كأرج المسك والكافور (١).

قال قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ «أي خمر جارية بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ» قال الحسن خمر

(١) انظر: الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي ٢٩٣/١.

(٢) معاني القرآن، أبو جعفر النحاس ٢٤/٦.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة جهنم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ٧١٠/٤، رقم ٢٥٩١.

وصحح الترمذي وقفه على أبي هريرة، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، ٤٧٠/٣، رقم ١٣٠٥.

زرقاً أي: حال كونهم زرق العيون وإنما جعلوا كذلك لأن الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب فإن الروم الذين كانوا أعدى عدوهم زرقٌ ولذلك قالوا في صفة العدو أسود الكبد وأصهب السبال وأزرق العين أو عمياً لأن حدقة الأعشى تزرُق^(١).

يأتي اللون الأخضر في الجمال في المرتبة الثانية فقبله الأبيض ثم الأخضر، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ [الأنعام: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ [يس: ٨٠].

وعند العرب الأخضر يطلق على كل جميل فيقال: الأخضر للذهب واللحم ويكنى عن المرأة السوداء بالخضراء تفائلاً، وكذا عن الحسناء.

واللون الأخضر لون النباتات والزرورع التي نشاهدها يومياً والتي تدخل على النفس كثيراً من البهجة والسرور، ولون الخضرة يقوي النظر ويزيد في حاسة البصر، وسبب ذلك فيما يقوله أهل الطب أن الأخضر يجمع الروح الباصر جمعاً رفيقاً مستلذاً غير عنيف.

يقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمَ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ بِئْسَ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠].

«حدائق بهيجة ناضرة حية جميلة مفرحة، ومنظر الحدائق يبعث في القلب البهجة والنشاط والحيوية، وتأمل هذه البهجة والجمال الناضر والحي الذي يبعثها كفيل بإحياء القلوب، وتدبر آثار الإبداع في الحدائق كفيل بتمجيد الصانع الذي أبدع هذا الجمال العجيب، وأن تلوين زهرة واحدة وتنسيقها ليعجز عنه أعظم رجال الفنون من البشر، وأن تموج الألوان، وتداخل الخطوط، وتنظيم الوريقات في الزهرة الواحدة ليبدو معجزة تتقاصر دونها عبقرية الفن في القديم والحديث، فضلاً عن معجزة الحياة النامية في الشجر وهي السر الأكبر الذي يعجز عن فهمه البشر»^(٢).

وأما اللون الأصفر: قال تعالى: ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْثُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩].

طلبوا من موسى عليه السلام زيادة في التعتن وكثرة السؤالات وصفاً آخر لهذه البقرة التي أمروا بذبحها، فقالوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا﴾ فأجابهم الله

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٤١/٦.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/٢٦٥٦.

المختلفة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة، إضافةً إلى الآيات التي أكدت على كون الذهب والفضة من شهوات الحياة الدنيا المحببة إلى النفس، والتي تدخل الفرح في من اقتناها. قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ [آل

عمران: ١٤].

الذهب مؤنث، ولذلك يصغر على ذهبية، ويجمع على أذهاب وذهوب، واشتقاقه من الذهاب، ويقال: رجل ذهب بكسر الهاء- رأى معدن الذهب فدهش و «الفضة» تجمع على فضض، واشتقاقها من انفض إذا تفرق^(٥).

قال القرطبي: «والذهب مكيالٌ لأهل اليمن، قال: واشتقاق الذهب والفضة، يشعر بزوالهما وعدم ثبوتهما كما هو مشاهد في الوجود»^(٦).

والذهب والفضة: إنما كانا محبوبين يبعثان على الفرح لأنهما جعلتا ثمن جميع الأشياء، فمالكها كالمالك لجميع الأشياء^(٧).

تعالى على لسان موسى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ أي صفراء اللون: وهذا أجمل لون؛ كشعاع الشمس الذهبي عند الغروب.

قال ابن عباس: ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ شديدة الصفرة تكاد من صفرتها تبيض وقوله: ﴿تَسْرُ النَّظِيرِينَ﴾: أي: تعجبهم من حسن منظرها وجمال لونها^(١).

قال ابن عباس: «من لبس نعلًا صفراء لم يزل في سرور ما دام لابسها، وذلك قوله تعالى: ﴿تَسْرُ النَّظِيرِينَ﴾»^(٢).

يقول الكسائي: فقع لونها إذا خلصت صفرتها وعن كون اللون الأصفر باعثًا للسرور^(٣).

قيل: ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ شديد الصفرة تكاد من صفرتها تبيض، وقيل: صافية اللون، وهي تسر الناظرين، لأنك إذا نظرت إلى جلدها تخيلت أن شعاع الشمس يخرج من جلدها^(٤).

وأما الدافع الفكري الثاني للفرح هو الحلي والأحجار الكريمة.

فقد تعددت الآيات الكريمة التي تحدثت عن تحلي المؤمنين يوم القيامة بألوان الحلي

(٥) انظر: اللباب في علوم الكتاب، بن عادل ٧٦/٥.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٢/٤.

(٧) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٧٦/٥.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١١٤/١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم ١٣٨/١.

(٣) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل ١٦٤/٢.

(٤) انظر: فتح القدير، الشوكاني ١١٥/١.

وأما الأحجار الكريمة فقد ذكرت في أكثر من موضع في القرآن الكريم، على سبيل وصفها مصدرًا للجمال، ومصدرًا للفرح، وعلى أنها باعثة على البهجة والانشراح والمتعة.

قال تعالى واصفًا الحور العين في الجنة: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨].

أي: كأنهن يشبهن الياقوت والمرجان في صفائهن وحمרתهن قال قتادة: كأنهن في صفاء الياقوت وحمرة المرجان، لو أدخلت في الياقوت سلكا ثم نظرت إليه لرأيت من ورائه (١).

وقال تعالى: ﴿كَأَمْثَلِ الذُّلُولِ الْمَكُونِ﴾ [الواقعة: ٢٣].

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣].

الأساور: جمع أسورة التي هي جمع سوار فالأساور جمع الجمع، وهي حلية تلبسها النساء الآن في معاصمها، ولؤلؤا هو ما يستخرج من البحر من جوف الصدف (٢).

ترتبط الأحجار الكريمة في أذهان الناس بالفرح والجمال، ويعتقد البعض أن لها أثرا علاجيا في العديد من الأمراض الجسدية

(١) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني ٢٨٣/٣.

(٢) انظر: التفسير الواضح، الحجازي ٥٦٧/٢.

والنفسية.

٢. دوافع فكرية غير حسية.

الدوافع الفكرية غير الحسية للفرح، مثل: الفرح بما عند الإنسان الجاهل من العلم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر: ٨٣].

أخبر الله تعالى عن الأمم المكذبة بالرسول، وماذا حل بهم من العذاب الشديد، مع شدة قواهم، وما أثروه في الأرض، وجمعوه من الأموال، فما أغنى عنهم ذلك شيئا، ولا رد عنهم ذرة من بأس الله؛ وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات، لم يلتفتوا إليهم، ولا أقبلوا عليهم، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل.

قال السدي: فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم، فأتاهم من بأس الله ما لا قبل لهم به (٣).

فحين جاءتهم الرسل إلى هؤلاء الجاهلين، فرحوا بما لديهم من العلوم الدنيوية كالجارة والزراعة، واغتروا بتلك القشور التي كانوا يسمعونها ممن كانوا يزعمون أنهم على شيء من العلم الديني، واستهزؤا بما جاءهم به الرسل من علوم تهدي إلى الرشد، وتدعو إلى إخلاص

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٦٠/٧.

والسعادة الحقة ذلك الذي يكون نتاج العمل الصالح. وأن تمسك الإنسان بالإيمان والتقوى والعمل الصالح هو السبيل للحصول على السعادة في الحياة الآخرة والأمن والطمأنينة والسرور والفرح الدائم.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَ تَكْمُلُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٥٧] قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [٥٨-٥٧]. [يونس: ٥٧-٥٨].

كثيراً ما نسمع من يقول عن شخص ما: نكدي، وآخر مرح، فلو ملك الأول المال والعقار وحصل الوضع الاجتماعي المناسب. هل يتغير طبعه، ولو تعرض الثاني لمتاعب الزمان هل يتغير طبعه؟ أم الفرح يورث كالمال تماماً!

فالقرآن الكريم وضح أن الفرح والشقاوة تورث كالصفات والأخلاق والأحاسيس والتدين والكفر كما تورث الصفات الحسية من طول أو قصر أو لون بشرة أو لون شعر؛ لنرى.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى

العبادة لله، واعتقدوا- لغبائهم- وانطماس بصائرهم- أنه لا علم أنفع من علومهم ففرحوا بها^(١).

ذكر الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ قال فيه وجوه:

الأول: أنه أراد العلم الوارد على سبيل التهكم في قوله تعالى: ﴿بَلِ أَذْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [النمل: ٦٦].

وعلمهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب.

والثاني: أن يريد علم الفلاسفة والدهريين عن بنى يونان، وكانوا إذا سمعوا بوحي الله: دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم.

والثالث: فرحوا بعلمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ [الروم: ٧].

فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات، لم يلتفتوا إليها وصغروها واستهزؤا بها، واعتقدوا أنه لا أنفع وأجلب للفوائد من علمهم، ففرحوا به^(٢).

ثانياً: دوافع نفسية:

لقد بين القرآن أن الفرح والسرور

(١) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي ٣١٧/١٢.

(٢) الكشاف ٤/١٨٢.

الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ
يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَجَارًا كَفَّارًا ﴿٧﴾
[نوح: ٢٦-٢٧].

لو تأملنا في قوله تعالى الآية الكريمة ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَجَارًا كَفَّارًا﴾ نجدها تشير إلى أن الكفار يضلون غيرهم من عباد الله، إضافة إلى أنهم يلدون الفجار الكفار أمثالهم. فقد أشارت الآية أن مواليدهم الخارجة من بطون أمهاتهم فجارًا كفارًا، فجرهم وكفرهم معهم مصاحبًا لهم، موروثة عن آبائهم وأجدادهم يسري في عروقهم لا ينفك عنهم، بل هو من أصل خلقتهم كلون بشرتهم، أو عيونهم أو هيئة شعرهم لذلك لا خير فيهم، ولا يستحقون البقاء الذي لا ينتج إلا أمثالهم، فلا بد من استئصال بذور الشر التي فقدت الغاية من سبب وجودها على هذه الأرض.

وجاء في الأمثال «تكاد المرأة أن تلد أخاها» دليل على توارث الصفات الخلقية. وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: للرجل الذي سأل عن غلامه الذي ولد أسودًا، فقال له: (هل لك من إبل. قال: نعم، قال: ما ألوانها. قال: حمر، قال: هل فيها من أورك قال: نعم، قال: فأني ذلك. قال: لعله نزع عرق، قال: فلعل ابنك هذا نزعة) (١).

وعن مريم عليها السلام نجد القرآن الكريم يصفها بحسن المنبت قال تعالى: ﴿فَنَقَّبَلْنَا رُبُّهَا يَقْبُولُ حَسَنًا وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧].

وفي هذا يقول الإمام علي: «إذا كرم أصل الرجل كرم مغيبه ومحضره» (٢) أي: من كان ينتمي إلى نسب عريق في الفضائل. فالفرح: يشمل كل ألوان الخير والراحة والرفاه والبركة.

والشقاء: يشمل جميع صنوف القلق والضيق والشدة.

وجينات يرثها الإنسان بتقدير الله وإرادته مصداقًا لحديث النبي صلى الله عليه وسلم (أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا أو أربعين ليلة ثم يكون علقة مثله ثم يكون مضغة مثله ثم يبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب

باب إذا عرض بنفي الولد، ٥٣/٧، رقم ٥٣٠٥.

(٢) انظر: غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدي ص ١٤٤

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق،

أساليب القرآن في الحديث عن الفرح

أولاً: الحديث عن الفرح الممدوح:

القرآن الكريم سيبقى المعجزة الخالدة الدائمة في اللفظ والمضمون والأسلوب، فقد كانت معجزات الأنبياء السابقين متفوقةً عاليةً على تحديات عصورهم وأممهم. أما القرآن فهو معجزة خاتم الأنبياء والمرسلين، الخالدة الباقية على البشرية وعلى العالمين على مر العصور والدهور.

فأساليب القرآن الكريم في عرض الفرح، تعد عنايةً فائقةً بتنوع أساليب النصوص القرآنية وتدبرها وتأملها، واستنباط الأسلوب الذي يسري في نسقها، وجوانب الجمال الذي تنسم به.

١. الأسلوب القصصي.

فأشار القرآن الكريم إلى أن القصص القرآنية وسيلةٌ من الوسائل الكثيرة إلى تحقيق الهدف الأصيل، والعناصر في القصة القرآنية تابعةٌ للهدف منها، وللعبارة التي سبقت من أجلها.

وقصة فرح قريش بنصر فارس على الروم وفرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصر الله.

قال تعالى: ﴿لَمَّا غُلِبَتِ الرُّومُ ۖ﴾ (١) فِي أَذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ

فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها) (١).

وعن سعد ابن أبي وقاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربعٌ من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء. وأربعٌ من الشقاء: الجار السوء والمرأة السوء والمركب السوء والمسكن الضيق) (٢).

مما سبق يتبين أن الصفات التي لها قابلية الانتقال من الآباء إلى الأبناء عديدة مثل لون البشرة والعين والشعر، وكذلك السجايا الخلقية والصفات الحميدة كالشجاعة والكرم والبشاشة والتفاؤل، أو الرذيلة كالكفر والفجور والكآبة والشقاء والتشاؤم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: (ولقد سبقنا كلمتنا لعبادنا المرسلين)، ٩/١٣٥، رقم ٧٤٥٤.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ٩/٣٤٠، رقم ٤٠٣٢.

وصححه اللباني في السلسلة الصحيحة، رقم ٢٨٢.

﴿٢﴾ فِي يَضِعُ سِينُكَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ
وَمِنْ بَعْدُ وَيُوَيْدُ يَقْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ [الروم: ١-٥].

٢. الأسلوب المباشر والأسلوب
غير المباشر.

عرض القرآن الكريم الفرح بالأساليب
المباشرة وغير مباشرة فمن الأساليب
المباشرة فرح المؤمنين بما من الله عليهم
من الهداية ومعرفة الحق.

قال تعالى: ﴿قَدْ فَضَّلَ اللَّهُ وَرَحِمَهُ فَبِذَلِكَ
فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾
[يونس: ٥٨].

ومن الأساليب غير مباشرة فرح مؤمني
أهل الكتاب، كعبدالله بن سلام بما أنزل
على النبي صلى الله عليه وسلم.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ
الْكِتَابَ يَقْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٦].

فقد ذكر الله تعالى فرح الذين آتيناهم
الكتاب ولم يذكر من هم بالأسلوب المباشر
إنما كنى عنهم.

والأسلوب غير المباشر هو ذكر الشيء
بذكر لوازمه، للتعبير عن المعنى، وهي باب
من أبواب المجاز، وقد استخدمه النبي
صلى الله عليه وسلم في وصف أبي الجهم
حين استشارته فاطمة بنت قيس في خطبة
أبي الجهم لها؟

فقال صلى الله عليه وسلم عنه: (أما أبو
جهم، فلا يضع عصاه عن عاتقه)^(١)، كناية
عن كثرة ضربه للنساء.

٣. أسلوب الوعد.

وهو فرح المؤمنين في الجنة بما أكرمهم
الله به من الرضوان والنعيم المقيم.

قال تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٠﴾﴾
[آل عمران: ١٧٠].

وقال سبحانه: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ
وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ
يُخْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الروم: ١٥].

٤. أسلوب الترغيب.

القرآن الكريم ربي الأمة الإسلامية
من خلال الترغيب في ثواب الله وجته
ورضوانه، رباهم على التخلص من الشح،
وأن ينفقوا في سبيل الله، ويؤثروا على
أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن خلال
الترهيب من غضب الله وعذابه، رباهم
على التخلص من شهواتهم، وقد سلك في
آياته أساليب متعددة لتحقيق أهدافه، واتخذ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق،
باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها، ١١١٤/٢،
رقم ١٤٨٠.

والمأمل في الشريعة يرى أنها ربطت
الفرح بالطاعات، فكان عيد الفطر بعد
الفراغ من صيام رمضان وقيامه، وكان عيد
الأضحى عقب أداء مناسك الحج.

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه
وسلم، قال: (يقول الله عز وجل: الصوم
لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وأكله وشربه
من أجلي، والصوم جنة، وللصائم فرحتان:
فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه،
ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح
المسك)^(٤).

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله عن
هذا الفرح: «وهذا فرح محمود غير مذموم،
قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ
فَإِذْ لَكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾»^(٥)
[يونس: ٥٨].

ففضله: الإسلام والإيمان، ورحمته:
العلم والقرآن، وهو يحب من عبده أن يفرح
بذلك ويسر به، بل يحب من عبده أن يفرح
بالحسنة إذا عملها، وأن يسر بها، وهو في
الحقيقة فرح بفضل الله حيث وفقه الله لها،
وأعانه عليها، ويسرها له، ففي الحقيقة إنما
يفرح العبد بفضل الله وبرحمته.

ومن أعظم مقامات الإيمان الفرح

وسائل متنوعة للوصول إلى غاياته.

ومن أساليب الترغيب، قوله تعالى: ﴿قُلْ
بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَإِذْ لَكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

ففضل الله ورحمته: القرآن والإيمان،
من فرح به فقد فرح بأعظم مفروح به، ومن
فرح بغيره فقد ظلم نفسه، ووضع الفرح في
غير موضعه^(١).

والفرح الإيماني هو فرح أهل الإيمان
بما بعث الله به رسوله من الهدى والحق،
كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ
يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٦].

وهذا الفرح يعد من أعمال القلوب
المطلوبة، ومن أعظم مقامات الإيمان.

يقول ابن تيمية: «أرفع درجات القلوب
فرحها التام بما جاء به الرسول صلى الله
عليه وسلم، وابتهاجها وسرورها، كما قال
تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ يَفْرَحُونَ
بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾» [الرعد: ٣٦]^(٢).

ومما يدخل في هذا الفرح فرح المؤمن
بالطاعة إذا عملها، وفي الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم: (إذا سرتك حسنتك،
وساءت سيئتك، فأنت مؤمن)^(٣).

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٩/١٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٤٧٩/٣٦، ٢٢١٦٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد،
باب قول الله تعالى: (يريدون أن يبدلوا كلام
الله)، ١٤٣/٩، رقم ٧٤٩٢.

وصححه الألباني في صحيح الجامع،

بالله، والسرور به، فيفرح به إذ هو عبده ومحبه، ويفرح به سبحانه رباً وإلهاً ومنعمًا ومريئاً^(١).

ثانيًا: الحديث عن الفرح المذموم:

١. الأسلوب القصصي.

قال تعالى: ﴿إِنْ قَرُّونَ كُنْتُمْ مِنْ قَوْمٍ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُتُبِ مَا أَنْ مَفَاتِحَهُ لَنْبِئُوا بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص: ٧٦].

هذه هي قصة المال والغرور بالعلم وكيف كان مآلهما بعد قصة الملك والسلطان وكيف كانت نهايتهما.

قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم مع أنه منهم، وعاش معهم ولكنه لم يرع لذلك كله حرمة أو جواراً، وبغى عليهم حتى جمع ذلك المال الوفير، وبغى عليهم بتكبره وطغيانه وظلمه لهم.

وآتاه الله من الأموال المنقولة والثابتة ما إن علمه والإحاطة به والمحافظة عليه لثبوت به العصبية من أولى العلم والقوة وكان قارون من قوم موسى، وكان ذا مال وفير، فقال له الصالحون من قومه لا تفرح وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض.

لا تفرح بدنياك فرحاً مصحوباً بالبطر والأشر، والفتنة والغرور فالدنيا عرض زائل، وعارية مستردة يربح فيها من عرفها، ويخسر من اغتربها لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم. إن الله لا يحب الفرحين. وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة نعم فالدنيا طريق الآخرة، هي المزرعة للباقية من زرع فيها الخير حصد، ومن أضاع عمره فيما لا يرضى ربه ندم والعاقل من طلب بدنيه آخرته، ومن ابتغى فيما آتاه الله الدار الآخرة والله سبحانه لا يطالبك بأن تعطى مالك كله، بل إن تنفق القليل طلباً لرضا الرب الجليل، ترجع بالخير الكثير والجزاء الجزيل.

ولا تنس نصيبك من الدنيا نعم فهذا هو الطريق الوسط والرأي الرشيد، أن تعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، وتعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، فليس من الدين الزهد في الدنيا حتى تتركها وتعيش عالة على غيرك، بل الدين يطالبك بالعمل والجد والغنى من طريق الحلال، فإذا جمعت المال فأعط حق الله فيه، ولا تنس نصيبك من الدنيا، أي: تمتع ببعضه بلا إسراف ولا تقتير، انظر إلى هذا النظام المحكم الدقيق الذي وضعه الحكيم البصير! وأحسن كما أحسن الله إليك والإحسان هو الإتقان في العمل، وهو يقتضى إعطاء كل ذي حق حقه.

ولا تبغ الفساد في الأرض بالظلم أو

(١) مدارج السالكين، ابن القيم ٣/ ١١١.

هذا حال قارون مع ماله، وموقفه ممن وعظه، وغروره بنفسه واستمع إلى الناس، وقد انقسموا إلى فريقين: فريق ينظر نظرة سطحية، فتعنيه الدنيا وزخارفها عن الوضع السليم والطريق المستقيم وآخر قد نور الله بصيرته فهو ينظر إلى الدنيا بعين العبرة والعظة، عين الرجل الفاهم للحقائق الذي لا تخدعه المظاهر الخلابه.

وقد جاءت نهاية قارون مؤيدة لما ذهب إليه أهل العلم والبصر بالدنيا والآخرة فخسف الله بقارون وبيداره وبماله وبجموعه الأرض، فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله، ويمنعون عنه بأس الله ويطشه، حيث لم يعمل عملاً صالحاً يقربه إلى ربه، ولم يحصن ماله بالصدقة والزكاة، ولم يتقرب إلى الله وإلى الناس بترك الكبر والغرور والخطيئة، ولهذا كله كانت النتيجة أن ضاعت ديناه، وخسف الله به الأرض، والله على كل شيء قدير، وعباده خير بصير^(١).

٢. الأسلوب المباشر والأسلوب غير المباشر.

من الأسلوب المباشر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي

العسف أو الكبر أو الإضرار بالناس فكل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها، إن الله لا يحب المفسدين بأي شكل كان.

انظر إلى قارون وقد أبى أن يقبل هذا النصيح - لأنه غير موفق - بل زاد عليه بقوله: قال: إنما أوتيته على علم عندي!! بمعنى أنه أوتي هذا المال لفضل علمه وكمال استحقاقه له، أو المعنى أنه أوتيته على علم عنده بوجوه الكسب وطرق الزيادة، وإنماء المال، كأنه قال إنما أوتيته هذا المال لفضل علمي وتمام مجهودي وتجاريبي، فليس لأحد حق له في هذا المال، وكأنه ينكر إنعام الله عليه بتلك الأموال لاستحقاقه لها عن جدارة فهو حر التصرف. ولقد رد الله عليه أبلغ رد حيث بين له حقيقة الأمر.

أعنده مثل هذا العلم الذي افتخر به وتعاضم، ورأى نفسه مستوجبة لكل نعمة، ولم يعمل به حتى يقي به نفسه مصارع السوء التي أهلك الله بها الطغاة المتجبرين الذين هم أشد منه قوة، وأكثر مالا وعدداً، ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون، وهكذا يجب على الإنسان ألا يغتر بماله، وأولاده وجموعه مهما كانت، فإن الله إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، وليعلم المسلم أن الأيام دول، وأن الدهر قلب، وليعتبر بما حصل في الماضي، وليحصن ماله بالإنفاق.

(١) انظر: التفسير الواضح، الحجازي ٢/ ٨٤٨.

الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

من الأسلوب غير المباشر قوله تعالى وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦].

وإذا رسخ في قلب المسلم الاعتقاد الذي تقرره هذه الآية الكريمة والآيات الأخرى التي في معناها فلن يفرح فرح أشد وبطر بحصول النعمة ولكن فرح شكر وامتنان واعتراف بالفضل لمن أسداها وهو المولى سبحانه وتعالى، ولن يأسى على فوات أو زوال النعمة أسمى يذهب به كل مذهب، ويجعل الدنيا تضيق عليه بما رحبت، ولكنه سوف يسلم لله ويرضى بما قضاه، ولنفسه العزاء الأكبر.

٣. أسلوب الوعيد.

توعد الله الذين يفرحون بالباطل، فقال سبحانه: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَاوَا وَيُحِبُّونَ أَن يَحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

وهناك نوع آخر من الفرح المذموم، وهو أحد العلامات الدالة على النفاق، قال

تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: (أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدا بما لم يفعلوا، فنزلت ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَاوَا وَيُحِبُّونَ أَن يَحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١)).

٤. أسلوب التهيب.

استخدم القرآن الكريم أسلوب التهيب للدلالة على الفرح المذموم، وأهله أولئك المعاندون للرسول عليهم الصلاة والسلام، وفي هذا النوع من الفرح.

يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [غافر: ٨٣]. ويقول سبحانه: ﴿فَنَقْطَعُوا أَمْرَهُمُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (لا يحسن الذين يفرحون بما آتوا)، ٤٠/٦، رقم ٤٥٦٧، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين، ٢١٤٢/٤، رقم ٢٧٧٧.

هذا أسلوب من نوع آخر من كيد المنافقين ومن خبت بواطنهم للإسلام والمسلمين، والمعنى: إن تصبك في بعض الغزوات حسنة سواء كان ظفراً، أو كان غنيمة، أو كان انقياداً من بعض ملوك الأطراف لك، يسؤهم ذلك، وإن تصبك مصيبة من نكبة وشدة ومصيبة ومكروه يفرحوا به، ويقولوا قد أخذنا أمرنا الذي نحن مشهورون به، وهو الحذر والתיقظ والعمل بالحزم، من قبل أي قبل ما وقع وتولوا عن مقام التحديث بذلك، والاجتماع له إلى أهاليهم، وهم فرحون مسرورون^(٢).

بَيْنَهُمْ ذُرِّيًّا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾
[المؤمنون: ٥٣].

ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

وفي هذه الآيات يخبر المولى عز وجل عن المعاندين لرسله، وكيف أنهم أعرضوا عما جاءت به الرسل من الحق فرحين بما عندهم من العلم الذي هو في حقيقته جهل، وبما لديهم من شبهات وأباطيل يعارضون بها دعوة الحق التي جاء بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام^(١).

٥. الإخبار بحال الكافرين والمنافقين.

أخبر القرآن الكريم عن فرح الكافرين والمنافقين بما يصيب المؤمنين من مصائب الدنيا.

قال تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهَتْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقال سبحانه: ﴿إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ سَوْهَتْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَكَتَلُوا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة: ٥٠].

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ١٦/٦٦، الموسوعة القرآنية، الإبياري ١٠/٢٣

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/٣١٣، ١٥٩/٧.

ضوابط الفرح

الأصل في الفرح الإباحة: لقوله صلى الله عليه وسلم (ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم، فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا من الله العافية، فإن الله لم يكن نسيًا، ثم قرأ هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] (١).

فالأصل في الأشياء الإباحة حتى يدل الدليل على التحريم (٢).

وأما الضوابط الشرعية في الفرح:

أولاً: ألا يكون الفرح فيه استهزاء بالدين:

الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه ويجعله مرتدًا عن الإسلام (٣).

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوشُ وَلَقَدْ قُلْنَا لِلَّهِ وَمَا إِلَهُهُ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

فبعض المسلمين يطلقون نكتة أو

نادرة فيها استهزاء ببعض شعائر الإسلام وفرائضه، أو يتمازح وهو في معصية دون أن يعلم أن ذلك جرمٌ عظيمٌ قد يؤدي به إلى الكفر والعياذ بالله، مثل الاستهزاء ببعض السنن على سبيل المزح، وبعض الأحكام الشرعية كتقصير الثوب وإعفاء اللحية أو الصلاة والصوم وغيرها.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «من أذنب ذنبًا وهو يضحك دخل النار وهو يبيكي» (٤).

ثانيًا: أن يكون صادقًا في إفراح الناس ولا يكذب عليهم:

اعتاد بعض الناس ذكر الطرائف الكاذبة بقصد إضحاك الناس. قال رسول صلى الله عليه وسلم: (ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له) (٥).

وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها جلساءه يهوي بها في النار أبعد من الثريا) (٦).

(٤) انظر: الحلية، أبو نعيم ٩٦/٤.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، ٤/٤٥٤، رقم ٤٩٩٢.

وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ١١٩٩/٢، رقم ٧١٣٦.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده، ١٥/١٢٠، رقم ٩٢٢٠.

وحسنه الألباني في التعليقات الحسان ٢٢٣/٨.

(١) أخرجه الدارقطني في سننه، ١٣٧/٢، والحاكم في المستدرک، ٣٧٥/٢.

(٢) قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يتعقبه الذهبي.

(٣) انظر: نظم الدرر، البقاعي ٢٢١/١.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٧/٢٧٣..

ويعد من صفات المنافقين»^(٢).
ويقول الطبري: «اللمز باليد والعين
واللسان والإشارة، والهمز لا يكون إلا
باللسان»^(٣).

وعن الحسن: (إن المستهزين بالناس
ليفتح لأحدهم باب الجنة فيقال: هلم،
فيجيء بكرهه وغمه، فإذا جاء أغلق دونه)^(٤).
ولقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن السخرية بالمسلمين فعن أبي هريرة،
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا،
ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع
بعض، وكونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو
المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره
التقوى هاهنا) ويشير إلى صدره ثلاث
مراتٍ (بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه
المسلم، كل المسلم على المسلم حرام،
دمه، وماله، وعرضه)^(٥).

رابعاً: أن لا يكون في فرحه ترويع
للمسلمين:

قال ابن أبي ليلى: «حدثنا أصحاب محمد

ولا شك أنهم وقعوا في ذلك بسبب
الفراغ وضعف الإيمان والبعد عن ذكر الله
تعالى، ومصاحبتهم لجلساء السوء الذين
يزينون لهم بعض المحرمات.

عن جابر بن سمرة كنت أجالس رسول
الله صلى الله عليه وسلم كثيراً، وكان لا
يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح
حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قام، فكانوا
يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية
فيضحكون ويبتسم^(١).

فالنبي صلى الله عليه وسلم قدم عبادة
الله تعالى على الفرح كما ظهر من الحديث.

ثالثاً: ألا يكون في فرحه سخرية
واستهزاء بالناس:

السخرية والاستهزاء بالناس من الكبائر،
يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُوا
مِنْ قَوْمٍ ءَسَوْا أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا يَسْأَلُ
مِنْ قَوْمٍ ءَسَوْا أَنْ يَكُنْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا
أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ
الْإِيمَنِ وَمَنْ يَتَّبِعْ أَفْوَاتِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١١)
[الحجرات: ١١].

قال ابن كثير: «المراد من ذلك احتقارهم
واستصغارهم والاستهزاء بهم، وهذا حرام،

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٧٦/٧.
(٣) جامع البيان ٥٩٧/٢٤.
(٤) انظر: شعب الإيمان، البيهقي ٣١٠/٥، رقم
٦٧٥٧.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر
والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم،
١٩٨٦/٤، رقم ٢٥٦٤.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد
ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في
مصلاه بعد الصبح، ٤٦٣/١، رقم ٦٧٠.

واللعب. فمن الغلط العظيم أن يتخذ الفرح حرفة»^(٥).

قال تعالى: ﴿وَضَحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ [النجم: ٦٠].

والمذموم من الضحك ما كان مصحوبًا بصوت ويسمى القهقهة، وذلك لما يترتب عليه من آثار سيئة، كموت القلب وذهاب الهيبة وضياح الوقت.

قال الماوردي: «وأما الضحك فإن اعتياده شاغل عن النظر في الأمور المهمة، مذهب عن الفكر في النوائب الملمة وليس لمن أكثر منه هيبة ولا وقار، ولا لمن وصم به خطر ولا مقدار»^(٦).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من كثر ضحكك قلت هيئته. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا ضحك العالم ضحكةً مَجَّ من العلم مَجَّةٌ^(٧).

وعن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: مال هذا الكتاب ﴿لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

«إن الصغيرة الضحك»^(٨).

سادسًا: ألا يكون الفرح فيه غيبة:

قال النبي صلى الله عليه وسلم في

صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يسيرون مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزع» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل لمسلم أن يروغ مسلمًا)^(١).

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعبًا ولا جادًا)^(٢). لقوله: صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار)^(٣).

والقاعدة الشرعية: إذا اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام^(٤).

خامسًا: ألا يكثر من الفرح المباح:

ينبغي ألا يداوم على الفرح؛ لأن الجد سمات المؤمنين، وما الفرح إلا رخصة وفسحة لاستمرار النفس في أداء واجبها، فبعض الناس لا يفرق بين وقت الجد

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح، ٤/٤٥٨، رقم ٥٠٠٦.

وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٢/١٢٦٨، رقم ٧٦٥٨.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح، ٤/٤٥٨، رقم ٥٠٠٥.

وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ٢/١٢٥٧، رقم ٧٥٧٨.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٣٧/٤٣٨، رقم ٢٢٧٧٨.

وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ١/٤٩٨.

(٤) الباب في علوم الكتاب، ابن عادل ٤/١١٩.

(٥) إحياء علوم الدي، الغزالي ٣/١٢٩.

(٦) أدب الدنيا والدين ص ٣١٣.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المحرر الوجيز، ابن عطية ٣/٥٢١.

تعريف الغيبة (ذكرك أخاك بما يكره) ^(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وما أروع هذا التمثيل حيث يقول الله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ وحقا من ولغ في العرض فكأنه أكل اللحم من أخيه وهو ميت لا يقدر على رده، وكذلك المغتاب في غيبة أخيه ينهش من عرضه وهو لا يستطيع رده، فهذا أسلوب غاية في التنفير من الغيبة، ثم أتبع ذلك ربنا جل جلاله بقوله: فكرهتموه فقد صور المغتاب بصورة من يحب شيئا، حقه أن يكون في غاية الكراهية وهو أكل لحم الأخ، وزاده أن صورته بصورة الميت، وحقه أن يكون منه أنفر ^(٢).

فالغيبة عادة مرذولة، وصفة مستهجنة، كثيرا ما أودت بالصلوات، وأثارت الأحقاد، وشنت من جمع، وفرقت من شمل، وهي مع هذا عذابها شديد وعقابها أليم، وهي بالفساق أولى فاتقوا الله واجتنبوها وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة، ٤/٢٠١، رقم ٢٥٨٩.

(٢) انظر: التفسير الواضح، الحجازي ٣/٥١٠.

الستهم ^(٣).

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول: اتق الله فينا؛ فإنما نحن بك: فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا) ^(٤).

«الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها وهو ستة أسباب فهو سماها غيبة يقول: تباح، لكن في الحقيقة هي ليست غيبة هذه: نصيحة، لكن لما كان بعض الناس يرى أنها غيبة تسامح في إطلاق الغيبة عليها وعلى فرض أنها غيبة فإنها مباحة بل واجبة.

الأول: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية، أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فازجره عنه ونحو ذلك ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، ٤/٦٠٨، رقم ٢٤٠٧.

وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ١/١٢٤، رقم ٣٥١.

ذلك كان حراماً.

الثالث: الاستفتاء، فيقول للمفتي: ظلمني أبي، أو أخي، أو زوجي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك؟ وما طريقي في الخلاص منه، وتحصيل حقي، ودفع الظلم؟ ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص، أو زوج، كان من أمره كذا، فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين ومع ذلك، فالتعيين جائز كما سنذكره في حديث هند إن شاء الله تعالى.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه:

منها: جرح المجروحين من الرواة والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة.

ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان، أو مشاركته، أو إيداعه، أو معاملته، أو غير ذلك، أو مجاورته، ويجب على المشاور أن لا يخفي حاله، بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة.

ومنها: إذا رأى متفقهاً يتردد إلى مبتدع، أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة، وهذا مما يغلط فيه. وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد، ويلبس الشيطان عليه ذلك، ويخيل إليه أنه

نصيحة فليتفطن لذلك.

ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها، إما بأن لا يكون صالحاً لها، وإما بأن يكون فاسقاً، أو مغفلاً، ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله، ويولي من يصلح، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله، ولا يغتر به، وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مجاهراً بنفسه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة الناس، وأخذ المكس؛ وجباية الأموال ظلماً وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به؛ ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفاً بلقب، كالأعمش، والأعرج، والأصم، والأعمى، والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقص، ولو أمكن تعريفهم بغير ذلك كان أولى^(١).

سابعاً: ألا يكون الفرع في تبذير للمال:

قال تعالى ﴿وَمَا تَذَكَّرْ أَفْزَقًا حَقُّهُ وَالْمُسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۚ﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

(١) رياض الصالحين، النووي ص ٤٣٢.

القيامة) (١).

تاسعاً: ألا يكون الفرحة في الميسر:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَذْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

قال صلى الله عليه وسلم (من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله) (٢).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده في لحم الخنزير) (٣).

وهذا في أمر واجب وهو الإنفاق على ذي القربى والمسكين وابن السبيل فكيف الحال في الأفراح التي ينفق فيها المال على المنكرات.

ثامناً: ألا يكون الفرحة في اختلاط بين الرجال والنساء:

وهذا يفضي إلى من النظر المحرم، والخلوة المحرمة، بالإضافة إلى أنه قد يكون ذريعة لمخالفات شرعية أكبر، والله تعالى قد نهى عن مجرد قرب الزنا ولم يقتصر على تحريم الزنا، بل القربان فقد قال تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣١-٣٢].

وكذلك يجب على أفراحنا أن تخلو من المعازف لقوله صلى الله عليه وسلم: (ليكونن من أمتي أقوامٌ، يستحلون الحر والحرير، والخمر والمعازف، ولينزلن أقوامٌ إلى جنب علمٍ، يروح عليهم بسارحةٍ لهم، يأتيهم - يعني الفقير - لحاجةٍ فيقولون: ارجع إلينا غداً، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسح آخرين قردهً وخنازير إلى يوم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، ١٠٦/٧، رقم ٥٥٩٠.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب اللعب بالنرد، ١٢٣٧/٢، رقم ٣٧٦٢. وحسنه الالباني في صحيح الجامع، ١١١٣/٢، رقم ٦٥٢٩.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الشعر، باب تحريم اللعب بالنردشير، ١٧٧٠/٤، رقم ٢٢٦٠.

الفرح بين القرآن وعلم النفس

الفرح انفعال فطري محله القلب، يمدح ويذم بحسب تعلقه، لذا اهتم الإسلام به؛ ليجعله فرحاً محموداً.

إن مفهوم الفرح لم يستطع أحد من علماء النفس، أن يقدموا له تعريفاً جامعاً مانعاً، فعبروا عنه أحياناً بأنها ضد الشقاوة، أو ضد التعاسة، أو قالوا ضد النحوسة، ولكن اتفقوا بما فيهم فلاسفة المسلمين على أن الفرح هو جنة الأحلام التي ينشدها كل بشر، وزاد المسلمون على أنها تتحقق من خلال اتباع منهج الإسلام الذي يأمر بالسيطرة على الشهوات البدنية ومجاهدة النفس.

١. يرى سقراط أن الفرح يتحقق بالسير في طريق الفضيلة.

٢. وقال أفلاطون الفرح سلامة النفس وليس في سلامة البدن، وهي في فضائل الحكمة والشجاعة والعفة والعدل.

٣. وأما أرسطو فيعتبر الفرح هبة من الله يحصل عليها الإنسان عندما يسير في طريق الفضيلة ويعمل الخير^(١).

وأما علماء النفس من المسلمين:

قال ابن سينا اعتقد أن السعيد في الدنيا سيكون سعيداً في الآخرة، لأن سعادة الدنيا

وإن كانت أدنى من الآخرة إلا أنها توصل إليها وتتكون سعادة الإنسان في الدنيا من نوعين من اللذات: لذات حسية مرتبطة بشهوات البدن، ولذات معنوية مرتبطة بحاجات النفس وهي أفضل وأرقى، وعرف الفرح: بأنها البقاء السرمدي في الغبطة الخالدة في جوار من له الخلق والأمر تبارك وتعالى^(٢).

دعا الكندي إلى الرضا في كل الأحوال من أجل الفرح، والسرور، والقناعة بأخذ القدر الذي يحتاجه الإنسان من مطالب البدن دون ألم على ما فاته^(٣).

رأى ابن مسكويه أن الفرح تتحقق في تحصيل اللذات المادية والمعنوية معاً، وبصحة النفس وصحة الجسم معاً، وقسم الفرح إلى نوعين: أهمهما الفرح الأخلاقي، ويحصل عليها الإنسان عندما يعيش في خير دائم مطلق^(٤).

وعرف ابن مسكويه الفرح فقال: هي تمام الخيرات وغاياتها، والتمام: هو الذي إذا بلغنا إليه لم نحتج معه إلى شيء آخر^(٥). وقسم أبو حامد الغزالي: الفرح إلى

(٢) انظر: السعادة وتنمية الصحة النفسية، كمال مرسي ٢٥/١-٢٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) الموسوعة الفلسفية العربية والاصطلاحات والمفاهيم، د.معن زيادة ٤٧٨/٢.

(١) انظر: تحصيل السعادات، الفارابي ص ٤٩.

وأما في القرآن الكريم فقد ذكر السبب الأول في جلب الفرح الحقيقي للإنسان في الدنيا والآخرة.

فقد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنَ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴿١٠٨﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَمِنَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوفٍ ﴿١٠٩﴾﴾ [هود: ١٠٥-١٠٨].

وقال الألوسي نقلاً عن الراغب: في الفرح هو «معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير ويضادها الشقاوة، وفسر الشقاوة بنكد العيش وسوءه، فالشقي والسعيد هما المتصفان بما ذكر وفسر غير واحد الأول: بمن استحق النار بمقتضى الوعيد، والثاني: من استحق الجنة بموجب الوعد، وهذا هو المتعارف بين الشرعيين، وتقديم الشقي على السعيد لأن المقام مقام الإنذار والتحذير» (٢).

فالشقاوة قوة أسباب البلاء، والفرح: «قوة أسباب النعم، ومعنى الآية ها هنا عند أهل السنة، فمنهم شقي سبقت له الشقاوة، ومنهم سعيد سبقت له الفرح، وقال بعضهم: إن الفرح والشقاء ها هنا في الرزق والحرمان

قسمين:

٤. الملذات الحسية أو المادية والمرتبطة بإشباع حاجات الجسم.

٥. الملذات النفسية أو المعنوية: وهي أرقى من الملذات الحسية، ويحصل عليها الإنسان من إشباع حاجاته النفسية والاجتماعية والدينية، ويرى الغزالي أن أسعد الناس في الدنيا أكثرهم معرفة بالله، والفرح الحقيقي عنده هو الفرح الأخروي فهو الفرح الدائم والسرور الذي لا غم فيه، والعلم الذي لا جهل فيه (١).

وخلاصة القول في الفرح عند علماء النفس أنه ليس بالأمر الهين، أن نعثر على الفرح فهو أمر داخلي يتأثر بما يدور حوله في الخارج.

فالفرح: هو ذلك الشعور المستمر بالغبطة والطمأنينة والأريحية والبهجة، هذا الشعور يأتي نتيجة الإيمان بالله والرضا عن الله وقضائه وقدره بقناعة وصبر في شعارنا الدائم «إنا لله وإنا إليه راجعون» وبذلك يكون الإنسان في حالة صلح مع خالقه ومع نفسه، ثم مع الناس في طهر ونور وخير وأمل وحلم. لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

(١) انظر: المصدر السابق ١/ ٩٧٨-٩٧٩.

(٢) روح المعاني، الألوسي ٦/ ٣٣٥.

موضوعات ذات صلة:

البشرى، البكاء، الحزن، الرضا، السعادة،
الغم

وفسر بعضهم: الشقاوة بالعمل السيء
والفرح بالعمل الحسن والمأثور الصحيح
هو الأول^(١).
قال لييد^(٢):

فمنهم سعيد آخذ بنصيبه

ومنهم شقي بالمعيشة قانع
قال سيد قطب «ونشهد الذين سعدوا،
نشهدهم في الجنة لهم فيها عطاء دائم غير
مقطوع ولا ممنوع»^(٣).

ويقول السعدي في تفسير قوله تعالى
﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ «والأشقياء هم
الذين كفروا بالله وكذبوا رسله وعصوا
أمره، والسعداء هم المؤمنون المتقون»^(٤).
وأما الشعراوي فقال في تفسير قوله
تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾: جاء بالاسم
المحدد لكل من القسمين شقي وسعيد، لأن
الاسم يدل على الثبوت، فالشقاء ثابت
لمن نعت بالشقي، والفرح ثابتة لمن نعت
بالسعيد^(٥).

والفرح حقيقة نفسية في القلوب الصافية،
وهو فرح الالتقاء على الحق، وزيادة اليقين
بصحة ما لديهم، ومؤازرة الكتاب الكريم له.

(١) انظر: تفسير السمعاني ٢/ ٤٥٨-٤٥٩.

(٢) روح المعاني، الألو سي ٩/ ١٥٠.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/ ١٩٢٩.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٣٤٦.

(٥) انظر: تفسير الشعراوي ١١/ ٦٦٨٢.